Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مفيد عرنوق

صرح ومعهد الحضارة السورية

Bibliotheca Alexandrina
0011783S

دار علاء الدين
منشورات دار علاء الدين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صـــرح ومهـــد
الحضارة السورية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مفيد عرنوق

صرح ومهد
الحضارة السورية

منشورات دار علاء الدين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حقوق الطبع والنشر محفوظة لدار علاء الدين

دمشق - ١٩٩٩

الطبعة الأولى - ١٠٠٠ نسخة -

التنضيد الضوئي: دار علاء الدين للطباعة والتوزيع والنشر

التدقيق اللغوي : امتثال الكفيري

الإخراج الفني : هيفاء الرفاعي

يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دمشق: دار علاء الدين

ص.ب: ٣٠٥٩٨

هاتف: ٥٦١٧٠٧١ - ٢٣١٧١٥٨

فاكس: ٥٦١٣٢٤١

* جميع الأفكار والآراء الواردة في الكتاب تعبر عن وجهة نظر المؤلف.
* في حالة أخذ أية مادة من الكتاب يرجى الإشارة إلى المصدر.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المقدمـــة

وضعت هذا الكتاب ليحكي لنا قصة عهد البطولات في التاريخ السوري العربي حتـــى يتعرف أبناؤنا من طلبة المدارس والجامعات إلى تاريخ أمتهم ، الأمة التي أعطـــت العـــالم كل علم وفن وفلسفة ، والويل كل الويل، لمن لا يعرفون تاريخ أمتـــــهم ، فـــهم إذاً أشـــبه بالرمال المتحركة فوق الصحارى تعصف بها الرياح فتنقلها دون إرادتـــــها إلـــى أقصـــى الصحارى لتغيب عن واقع وجودها وتاريخها .

إنه كتاب مختصر بقدر الإمكان يحكي قصة نشوء عهد الحضارة السورية التي مـــرت بأربع ثورات حضارية :ثورة العصر الحجري الحديـــث والثـــورة الزراعيـــة والفخاريـــة والكتابية .

وعلى هذا المهد الحضاري الذي يبدأ به تـــاريخ الحضـــارة الإنســـانية يعلـــو صـــرح الحضارة السورية بدءاً من عهد الطوفان ليدخل في عهد البطولات مروراً بالملوك العظـــام أمثال " أرو كاجينا " و "جلجامش" و " سرجون الأكادي " و "حمورابي " الذي يتوج عـــهد البطولات بأروع ما أعطت البشرية من زخم حضاري إنساني ، لا يزال حتى اليوم مبعـث الدهشة لدى علماء التاريخ والاجتماع . ولقد قال العالم الفرنسي " انـــدره بـــارو " بعـــد أن اكتشف مدينة "ماري " على الفرات :" إن كل إنسان في العالم له وطنـــان ، وطنـــه الـــذي يعيش فيه وسوريا " إنه قول عظيم وشهادة عظيمة على الحضارة السورية ،فحق لنـــا أن نفخر بها ونعتز .

كما نقرأ في هذا الكتاب تاريخ أعظم الحضارات السورية مثل " إيبـــلا" و "مـــاري و أوغاريت تلك المدينة التي في عهدها وضع أحد أبنائها الأبجدية الكاملة التي تبنتها الأمـــم الحضارية حتى يومنا هذا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كما أن هذا الكتيب يضم بين دفتيه نبذة عن حياة القواد أمثال "زنوبيا " و "هاني بعل " أعظم قائد حربي في تاريخ البشرية . وهذا الكتاب أيضاً يضم لوحة بأشهر أوائل الفكر العلمي والفلسفي أمثال "زينون " الرواقي و"بيتاغور" و"ابولودور الدمشقي " و "طاليس " أبو الفلسفة وكلهم وغيرهم الكثيرون تبنتهم "أثينا " و "روما " والأمم وقد نسيتهم أمهم سوريا . فإلى هؤلاء جميعهم وغيرهم أدعو الأجيال الصاعدة إلى التعرف على مآثرهم اعتزازاً بالفكر السوري البطولي على مرّ العصور ، ولا يزال مشعل العلم والحرية في المغترب .

المؤلف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

استهـــلال

أستهل هذا الكتيب بلمحة موجزة عن أحوال الشعب السوري وكيفية تكونه في الشـــرق الأوسط ، في البقعة المسماة "سوريا الطبيعية ".

إن ما نعرفه حتى الآن يعود إلى الهجرات التي نزحت من الجزيرة العربية واســـتقرت في سوريا مندمجة في الشعب السوري الأصلي ومشكلة معه متحداً واضح المعـــالم مـــن حيث تفاعله مع البيئة ومع بعضه البعض في متحد قلَّ نظيره في العالم المتمدن .

وأما نزوح هذه الهجرات من الجزيرة العربية إلى سوريا فيعود ســـببه إلـــى الجفـــاف الشديد الذي اجتاح هذه المنطقة التي كانت في الماضي البعيد خصبة للغايـــة تشـــد إليـــها الأقوام العربية لتعيش فيها بكل أمان وعيش رغيد .غير أن تصحـــر الجزيـــرة وبخاصـــة جوفها الملتهب بالرمال الحارة حصر الأقوام في أطرافها الشمالية الجنوبية والغربية حتـــى نهايات اليمن .فقد احتفظ هذا الشريط من أراضي الجزيرة بخيراته غير أنـــه لـــم يســـتطع استيعاب جميع أقوام الجزيرة العربية .وقد بحث العلماء مطولاً هذه الأقوام وتوصلوا إلـــى اعتبارها مؤلفة من ثلاثة أقوام عربية درجوا على إعطائها التسميات التالية : عرب البـــائدة وعرب العرباء وعرب المستعربة .

أما البائدة فاسمهم يدل على صفتهم أنهم أبيدوا من الوجود بعد ما طرأ علـــى الجزيـــرة العربية من تغيرات جذرية في البيئة . أما كيف اختفوا وماذا حلَّ بهم فالتاريخ لـــم يرصـــد اختفاءهم حتى الآن .

وأما عرب العرباء فهم الذين استقروا في الجزيرة وبالتحديد في الربـــع الخـــالي ولـــم يختلطوا مع غيرهم من الأقوام .

وأما العرب المستعربة فإن اسمهم يدل عليهم أي أنهم بعد دخولـــهم الجزيـــرة العربيـــة استعربوا ومنهم ابراهيم الخليل الذي نزح من "اور" في العراق إلى "حران " فـــي شـــمالي سوريا ومنها إلى فلسطين، أرض كنعان ومن ثم إلى الجزيرة العربية حيث بنى مـــع ابنـــه اسماعيل "مكة " المكرمة .

ويرجح علماء التاريخ أنه قبل نزوح ابراهيم الخليل بعدة آلاف من الســـنين خرجـــت أقوام من البادية السورية ، تحت وطأة الجفاف واتجهت إلى الجزيرة العربية فـــي الزمـــن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الذي كانت الجزيرة ترتع بالخيرات بفعل المناخ المعتدل وقبل تصحُّر البيئة.إنـــها نظريـــات لاتنطوي على دلائل واضحة يكتنفها الغموض كما ينقصها الدليل الثابت .

أما الذي نعرفه بصورة قاطعة هو أن أقوام الجزيرة التي ضاق بها العيش تحت وطـــأة الجفاف والتصحر بدأت تتجه بموجات متلاحقة من جهة الشرق والغرب فســـجل التـــاريخ هذه الهجرات إلى "الهلال الخصيب " أو سوريا فامتزجت الـــــهجرات العربيـــة بالســـكان السوريين الأصليين وتبنوا حضارتهم التي سبق ومرت في ثلاث ثورات متباينة ســـــيجيء بحثها في هذا الكتاب وهي :

ثورة العصر الحجري الحديث

وثورة الفخار

وثورة الكتابة

إن هذه الثورات الثلاث تمثل مهد الحضارة السورية .

والهجرات العربية تبنت هذه الثورات وتفاعلت مع الشعب السوري الأصلي فـــاندمجت فيه وتوحدت وأنشأت متحداً متجانساً قلَّ نظيره في نشوء الأمم وأعطى العـــــالم كـــل مـــا توصل إلى خلقه من علم وفن وفلسفة .

وأما الهجرات العربية إلى سوريا فقد عرفت كما يلي :

- الأكادية في عصر سرجون الأول الكبير

- العمورية البابلية في عصر حمورابي المشرع العظيم والصفة العمورية هي تســـمية أطلقها السوريون في بلاد ما بين النهرين على أقوام هذه الهجرة وهم بالأصل كما عرفـــهم التاريخ كنعانيون .أما لفظة عمورية أو امورية فتعني سكان الغرب حتى أن البحر الأبيـض المتوسط كان اسمه "بحر أمورو" .

- الكنعانية وقد نزحت جماعاتها من جنوبي غربي الجزيرة العربية ودخلت شـــواطىء سوريا أو البلاد التي نسميها اليوم بلاد الشام

- البابلية الجديدة في عصر "نبوخذ نصر " وهم من الأراميين .

وهذه الهجرات الرئيسية تشكل أربعة أقاليم وهي :

- سوبارتو في الشمال

- أمورو في الغرب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- عيلام وسوزانه في الشرق
- وسومر في الجنوب

وقد هاجم البرابرة هذه الأقاليم أو البيئات الطبيعية وكان الصـــراع عنيفـاً ومصيريـاً وبخاصة مع "الغوطيين ".ولكن النزوع السوري إلى الوحدة البيئية الطبيعية وإلـــى إقامـة الدولة القومية لم يتوقف وهكذا وبعد انكفاء الغوطيين تجددت الدول السورية فظهرت :

- دولة حمورابي ١٧٨٠-٥٠٠ ق .م
- دولة الآشوريين ١٢٤٥-٦١٢ ق. م
- دولة البابليين الجدد ٦١٢- ٥٣٩ ق.م
- دولة النهضة العربية الإسلامية ٦٣٢ – ١٠٥٥ ق.م

إن هذه الدولة قامت لتجعل من سوريا قاعدة حضارية عالميـة وقـد أعطـت بـالفعل مقومات الحضارة العالمية فأخذ العالم عن سوريا أكثر مما أعطاها وانصهرت فيها أقـوام في عملية تجدد وبناء حتى قيل عن سوريا أنها أعظم مصهر في العالم .

ممن يريد أن يدرس التاريخ السوري عليه أن يدرسه ككل لا أن يُجزئه حتى يصبـح كالفسيفساء لا تستوعب صورتها الأساسية إلا بعد أن تجمع حجارتـها كـل حجـر فـي موضعه .

هذا ما ندعو إليه لمن يريد أن يدرس تاريخ سوريا وغير ذلك لا يـؤدي إلـى معرفـة حقيقية بهذا التاريخ الحافل بالعطاءات التي ارتفع فوقها " الصرح السوري " بكـل فخـر واعتزاز.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مهد الحضارة السورية

نقول في مستهل هذا الحديث أن سوريا هي إحدى بيئات العالم العربي وما يصيب هـذا العالم من نكبات تهتز له نفوس السوريين دفاعاً عن تراثهم، فسوريا هي صدر هذا العـالم وسيفه وترسه .

إن أول ما يتبادر للذهن هو معرفة اشتقاق اسم سوريا .لقد درج المؤرخـون أمثـال الدكتور فيليب حتى وغيره على القول أن اسم سوريا مشتق من صور وقـد يكـون مـن آشور .أما دراساتنا الحديثة فقد أوقعتنا على مقطع في كتاب : للعالم "كونشـينو " عنوانـه تاريخ الحثيين والماتينين يقول فيه أنه منذ الألف الرابع قبل الميلاد بدأت تتسلل إلى سـوريا عبر جبال زغروس أقوام من الرعاة الهندوأوروبيين استيقظتهم خصوبة الأرض السـورية وشمسها المشعة الدافئة. وكانت لفظة سوريا تسبق أسماء ملوكهم . وبعد التفتيش الدقيق تـم العثور على قاموس عربي سنسكريتي وإذ بلفظة سوريا موجودة فيه باللغـة السنسـكريتية ومعناها الشمس .

ومن هنا اتضح اشتقاق لفظة سوريا أي أنها من اللغة السنسـكريتية وتكتـب بـالألف الطويلة .

بعد هذا الكشف إن اسم سوريا ومعناه الشمس، فإن أول من أطلق هـذا الاسـم علـى منطقة الشرق الأوسط أي سوريا الطبيعية هم الهندو أوروبيون أثناء لجوئهم إلـى منطقـة الشرق الأوسط هرباً من الصقيع والجليد ولجوءاً إلى الدفء وخصوبة التربـة .وبموجـب هذا المنطق تسقط تسمية سوريا عن صور أو آشور لتثبت أنها سنسكريتية .

بعد هذه المقدمة التي كان لابدَّ منها نبدأ في عرض مهد الحضارة السورية كما سـجله علماء ما قبل التاريخ، منذ الألف العاشر قبل الميلاد حتى الألف الثاني منه وباختصار قـدر الإمكان .وفوق هذا المهد ارتفع صرح الحضارة السورية التي أعطت للعالم كل علم وفـن وفلسفة.حتى قال فيها عالم الأثار الفرنسي " اندره بـارو "بعـد أن كشـف أثـار مدينـة "ماري:"كل إنسان في العالم له وطنان وطنه الذي يسكنه وسوريا "

ونحن اليوم نعلم جميعاً أن العلماء حددوا العصور التي مرت على الإنسان بثلاثة :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

" العصر الحجري القديم والوسيط والحديث " . والقديم يقع بين المائة والعشرين سنة قبل الميلاد، والوسيط من الألف الاثني عشر حتى السادس قبل الميلاد، وأما الحديث فمن السادس إلى الرابع قبل الميلاد . وكم كانت دهشة العلماء شديدة إذ ثبت لديهم أن السوري القديم انتقل دفعة واحدة من العصر الحجري القديم إلى الحديث متجاوزاً العصر الحجري الوسيط وقد أطلقوا على هذه النقلة النوعية صفة "ثورة العصر الحجري الحديث" . وقد ثبت لدى العلماء أن العقل السوري القديم كان يعمل على أساس العقل التركيبي وهو في الكهف . وإذا سألنا كيف تم ذلك بالتحديد فنقول على لسان علماء ما قبل التاريخ وعددهم لا يقل عن خمسة عشر عالماً أنه في الألف الرابع عشر طرأت تحولات على البيئة السورية ارتفعت معها درجة رطوبة الجو والحرارة، والسوري القديم أمام هذه التحولات البيئية انتقل من الكهف إلى الشرفات الممتدة أمام الكهف ومن ثم إلى أبعد من ذلك في العراء حيث أقام له نوعين من المسكن وهما " المعسكر الدائري " والمعسكر الشعاعي"وشرح العلماء معالم هذين المعسكرين بقولهم أن المعسكر الدائري مكون من عدة خيام مجموعة بشكل دائري يجوب أفرادها الطبيعة الواقعة بين هذه الخيام تفتيشاً عن الأقوات، وأما المعسكر الشعاعي فمن خيمة واحدة واسعة تضم عدة عائلات يرودون الطبيعة في جميع الاتجاهات وإلى مسافات بعيدة ما وسعهم ذلك وهي خطوة جريئة أمام المجهول .

وفي داخل كل معسكر ، كانوا يوقدون النار ضمن أثافي مصنوعة جنباتها من الطين والحجارة ، فتراءى لهم أن الطين يكسب قساوة بعد تعرضه للنار فيصبح صلباً كالحجارة إلى حد ما، فبدأوا يستخدمونه عوضاً عن الحجارة التي لم تكن متوفرة دائماً لهم .وهكذا تدرجوا في استخدام الطين المشوي عوضاً عن الحجارة في صنع خيامهم عوضاً عن أغصان الأشجار سواء في صنع الجدران أو في السقوف، وكانت هي الشرارة الأولى الحضارية في حياة إنساننا القديم في سوريا .ولما كان عقل السوري القديم التركيبي مستعداً ليعمل في الوجود بدأ بصقل الصوان ليجعل حافاته قاطعه ويضع السكاكين والمثاقب والرحى لطحن الحبوب وصنع مقابض لقطع الصوان حتى يجعل قدرتها على القطع قوية وقد تحققت كل هذه الإنجازات التي تقع عادة في العصر الحجري الحديث

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تحققت في العصر الحجري القديم . فالسوري القديم اجتاز دفعة واحدة العصر الحجري الوسيط، ولذلك أطلق العلماء على هذه النقلة ثورة العصر الحجري الحديث .

ومن دراسة أثار هذا العصر اكتشف العلماء سلسلة من القرى النطوفية – نسبة إلى وادي النطوف في الأردن – تمتد من جنوب سوريا إلى أعلى شمالي العراق، وقد تكشفت الحفريات عن أثار العديد من القرى من جنوبي سوريا مروراً بلبنان ودمشق وأهم هذه القرى كان في قريتي " المريبط والهريرة "وكلها قرى نطوفية بدأت في الألف التاسع قبل الميلاد، وقد تميزت به كل من قريتي المريبط والهريرة ببيوتها المبنية من الطين وبتلاصقها مع بعضها البعض، وعلى جانبي طريق يفصل البيوت عن بعضها البعض كما وجدت أقنية تصل إلى كل البيوت من على جانبي الطريق، وهي بمثابة أقنية مكشوفة لسد حاجة السكان وأهمها وجد في قرية "المريبط".

ومن مخلفات سكان هذه القرى والكهوف المجاورة ، وجدت رسوم على جدران الكهوف وداخل البيوت للثور والأيل .للقوة التي كان يتمتع بها كل منهما فنمت عنده نزعة فنية بأن يشخصها برسوم على جدران الكهوف وداخل البيوت .

كما أن العلماء عثروا على دمى أنثوية لم يوجد من بينها أي دمية لرجل فقرروا أن المرأة دخلت في معتقداتهم بأنها الخالقة فعبدوها وقد توارثت الأجيال هذه العبادة تحت أسماء مختلفة مثل "الأم الإلهيه"و "عشتار" أو "انانا " إلهة الخصب إلى " اشيرة " أم الألهة و "اناة "الألهة العذراء المحاربة وإلهة الخصب .والرجل أيضاً قد خصه الأقدمون منذ العصر النطوفي باحترام يليق بقدرته الجسديه المهيأ لمصارعة الحيوانات والدفاع عن أفراد عشيرتة وقد برهنت على ذلك في قرية المريبط جماجم رجال مغروسة في الجدران داخل البيوت وقد أصلح الأقدمون هذه الجماجم إلى حدٍّ ما بترميم شكلها بالطين الاصفر الأحمر والعيون بالصدف، فاتفق رأي علماء ما قبل التاريخ على أن هذه الجماجم المغروسة في الجدران داخل البيوت لم تكن للزينة مادامت غير معرَّضة للناظر خارج البيوت وإنما للعبادة إكراماً للرجال الأقوياء المدافعين عن عشيرتهم ومن هنا برزت منذ القديم عبادة الجدود .

امتد العصر الحجري الحديث في سوريا حتى الألف الرابع قبل الميلاد حيث ظهر عصر الفخار الذي يمثل الثورة الحضارية السورية الثانية بعد ثورة العصر الحجري

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحديث . ونحن نعلم أن الفخار دخل في المصلحة النفعية إلى أبعد الحدود إذ غير إلى حد كبير نمط حياة الإنسان في القرى البدائية وبعدها بحيث باشر في صناعة الصحون الفخارية والقدور ومختلف الأدوات المنزلية، كما أنه تفنن في زخرفتها بألوان مختلفة لا تزال تُسر الناظر إلى يومنا هذا . مما جعلها سلعة جميلة ومفيدة دخلت وعلى أوسع نطاق في التبدل التجاري داخل سوريا وخارجها .

استمر هذا الوضع حتى الألف الرابع قبل الميلاد في عشية حدوث الطوفان . ومن دراسات العلماء اتفق الرأي على أن حادثة الطوفان وقعت في بلاد "سومر " على طول ٦٢٠ كم ومئة وعشرين كم عرضاً ، وذلك اعتباراً من خليج بصرة الذي كان متقدماً باتجاه البحر إلى آخر منطقة "سومر "طولاً، وشاملاً عرضاً المنطقة الواقعة بين نهري دجلة والفرات .وهكذا وبعد انحسار مياه الطوفان تجمع الناجون في موقع عرف فيما بعد بمدينة " كيش " وتفسيرها التجمع .وقد تبع ذلك إنشاء مدن عديدة مثل اور و اوروك و اومًا و اريدو استلم فيها الرجل زمام الأمور دون المرأة وقد عرف هذا العصر بعصر البطولات . وقد ساد الاعتقاد في ذلك الزمن أن صولجانات الملوك أنزلت عليهم من السماء بوساطة الإله " انليل " والإلهة " عشتار " فالصولجان كان بمثابة عقد بين الملك وإلهه حتى يحسن سياسة رعيته بالعدل والرحمة والعمل على ازدهار مدينته ، إنه عصر البطولات عصر " آدابا الصالح " الممكن مقارنته بآدم التوراة وبعصر "إيتانا " الذي رأى خلود الإنسان بولده وعصر "لوجال بندا "و "اوروكا جينا " أول مصلح اجتماعي في تاريخ العالم ، إلى ما هنالك من أبطال خلفوا لنا تراثاً غنياً نفاخر به ونعتز أمثال "اسرحدون " "وسرجون الأكادي " و "نبوخذ نصر " وغيرهم .

وبفعل نوعيات أعمال الأبطال الأوائل ، بدأت ذاكرة الإنسان تعجز عن استيعاب هذه الأعمال فكان لابدَّ من تدوين مآثرهم مما حدا الأولين إلى اختراع الكتابة وإعلان الثورة الحضارية الثالثة ألا وهي اختراع الكتاب كما ذكرنا .. وبفعل هذا الاختراع عثر علماء الآثار على الرقم الفخارية الحاملة منجزات تلك العصور كمايلي:

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أولاً : اختراع الكتابة

كما سبق وذكرنا تمَّ للسوري اختراع الكتابة في الألف الثالث قبل الميلاد وربما قبل ذلك وكان تحت وطأة حاجته للتعبير عما يريد تدوينه مما كان عالقاً في الذاكرة من أعمال الملوك .

اعتمدت الكتابة الأولى على الصورة للدلالة على الحرف أو المقطع وسميت بالصورية أو ما عرف في الغرب بالهيروغليفية . ولقد قرر العلماء أنها ليست منقولة عن الهيروغليفية المصرية إنما قد تكون متزامنة معها فسميت بالمقطعية ثم باللاصقة.

إن الأبجدية السورية الأولى كانت مؤلفة من ثماني عشر حرفاً تطورت فيها أشكال الحروف ست مرات دون أن تفي بالغرض المنشود حتى استقر الحرف على صورة مسمارية فوصفت هذه الكتابة بالمسمارية تبنتها كل شعوب المنطقة حتى الزمن المتأخر .

ونحن نعلم من المكتشفات الحديثة أن الأبجدية الأولى تطورت على أيدي أبناء "تل براق" في شمالي سورية و "جبيل "في لبنان حيث اصبحت مؤلفة من اثنين وعشرين حرفاً اكملها اخيراً ابن " اوغاريت " على الساحل السوري الشمالي حتى اصبحت تضم واحداً وثلاثين حرفاً وهي اليوم أساس كل الأبجديات اللاتينية .وعندما تمَّ اكتشاف أبجدية اوغاريت عيدَّت المحافل العلمية الأوربية يوماً كاملاً احتراماً لابن اوغاريت مخترع الأبجدية بحروفها الصوتية الكاملة .

ثانياً : في حقل التربية والتعليم

بنتيجة اختراع الكتابة نشأت المدارس السورية في وادي الرافدين وأولها كانت في مدينة "اوروك " و "شروباك " المعروفة حالياً تحت اسم " فارة " في " سومر " .

والهدف الأساسي للمدرسة السورية الأولى كان ما يمكن أن نسميه بالكتابة والتخصص والتدريب المهني سداً للحاجات الاقتصادية والإدارية، وبالدرجة الأولى تلبية لحاجات رجال المعابد والقصور . وقد أصبحت هذه المدارس مركز البحوث والعلوم سواء في اللاهوت أوفي المعارف الخاصة بالاقتصاد أو النبات والحيوان والمعادن والجغرافيا والرياضة والنحو واللغة وكل ما كان متعارفاً عليه في ذلك الزمن .

ولم يكن التعليم عاماً وإلزامياً ، إنه كان مأجوراً إلى درجة أن معظم الطلاب كانوا من العائلات الميسورة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثالثاً : في الشؤون الدولية

سجلت المدونات أول حرب أعصاب يشنها ملك يدعى " اينمر كـــار " ملـــك "اوروك " على سيّد " إراتا " في جنوبي بحر " قزوين " لأن سيّد " إراتا " رفض أن يقدم إلى " اينمـــر كار " حجارة كريمة اشتهرت بها " إراتا " حتى ولو بالمقايضة على حبـــوب . ازاء هـــذا الرفض غير المبرر بدأ " اينمر كار بتهديد سيد "إراتا " الذي في حال اســـتمرار الرفـــض فإن الملك "ايتمر كار " سوف يسلط عليه غضب الالهة "عشتار " إلهة الخصب دون إراقـــة دماء ورغم ذلك استمر سيد " إراتا " رافضاً طلب " اينمر كار " مما دعا هذا الأخير إلـــى شن هجوم على سيد "إراتا "

وأجبره على الخضوع . فيكون الملك "اينمر كار " استخدم في بدايـــة الأمـــر حـــرب الأعصاب للتأثير على سيد "إراتا " حجباً للدماء ولكنه في نهاية الأمر اضطر إلـــى ذلـــك للحصول على الحجارة الكريمة التي لاتحتاجها " اراتا " وهذا يدل على روح العصر وقتئذ الذي كان يفضل فيه الناس تسوية النزاعات دون حرب إلا عندمـــا يصبحـــون مرغميـــن على ذلك.

رابعاً : المفهوم الديموقراطي في نظام الحكم

مارس السوري القديم في الألف الثالث قبل الميلاد المفهوم الديمقراطي الذي تتباهى بـــه في الوقت الحاضر ، أعظم الدول حضارة وادعاء بالمحافظة على حقوق الإنســـان . فقـــد سجلت المدونات أنه في الآلف الثالث قبل الميلاد مارس السوري القديم الحياة الديمقراطيـــة البرلمانية بأبهى صورها وقد أنشأ أول برلمان في تاريخ البشرية فقد التأم هـــذا المجلـــس البرلماني في جلسة خطيرة للنظر في نزاع كان قائماً بين مدينتي " كيش" و "اوروك " مـــا إذا كان المجلس يقرر الحرب أم السلم .

وهذا البرلمان أو مجلس الشعب كما تم الاصطلاح على تسميته في هذه الأيـــام وهـــو مؤلف من مجلس شيوخ أو أعيان ومجلس عموم أي مواطنين حملة السلاح ومثل هـــؤلاء يقدرون قيمة القرار الذي يتخذونه من حيث الحرب وفي ذلـــك روح ديمقراطيـــة عاليـــة المستوى . لقد نظر في النزاع القائم بين المدينتين المذكورتين فدعي مجلس الشيوخ للنظـــر في هذا النزاع ما إذا كان يسوّى بالحرب أم بالسلم فاختار المجلس السلم . غير أن الملـــك وهو " جلجامش " الشهير الذي ارتاب بصحة القرار فأحاله على مجلس المواطنيـــن الـــذي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بعد النظر في النزاع القائم بين " كيش و ارك "وما كان مجلس المواطنين هذا إلا أن قـــرر حسم الخلاف بالحرب و وافق " جلجامش " على هذا القرار . وهذا يدل على أن الســوريين منذ القديم وحتى اليوم يؤمنون بالروح الديمقراطية أشد الإيمان لاكما يدعي الغرب في هـذه الأيام بإقامة نظام جديد لحياة راقية جديدة .

خامساً : أول مؤرخ في التاريخ

نشب نزاع في الألف الثالث قبل الميلاد بين مدينتين : "لجش و اومّا " أدى إلى حـروب متواصلة مما حدا بالطرفين إلى الاتفاق على حفر خندق يفصل بين المملكتين . وعلى ذلـك عمد مؤرخ ، وهو يعتبر أول مؤرخ في التاريخ إلى تسجيل هذه الحوادث في اطار مقبـول من وجهة نظر حكومة الآلهة للكون وشئون الحياة الخاصة بعالم هذا المؤرخ . أما اســمه فغير معروف أو مدون، مما يدل على أنه كان من أتباع القصور أو المعابد. وقـد اعتـبر علماء الآثار والتاريخ هذا المؤرخ الأول من نوعه في العالم .

سادساً : في الإصلاح الاجتماعي

إن أول إصلاح اجتماعي مدون هو الذي وقع في مدينة " لجش " وكان على يد الملـك " اورو كاجينا " إن الظروف التي أتت بالمدعو اوروكاجينا إلى الحكم كانت على يد الشـعب الذي كان يرزخ قبل مجيء " اوروكا جينا " تحـت وطـأة الضرائـب لصـالح القصـر ومؤسساته والعائلة المالكة ورجال المعابد . وكانت هذه الضرائب شديدة الوطأة عليه إلـى درجة أنه لم يقوَ على تحملها فأتى بملك جديد يدعى " أوروكلجينا " الذي بادر فـوراً إلـى إقامة حركة إصلاح واسعة جداً منها توزيع أراضي المعبد التي صـودرت سـابقاً علـى الفلاحين وإلغاء الضرائب وصيانة حق المواطنين والحفاظ على مصالح الأيتام والأرامـل . كما أنه أعلن ولأول مرة في تاريخ البشرية حرية المواطنين تلك الحريـة التـي أول مـا لفظت فعلى لسان " اوروكاجينا "

كان لاصلاح أوروكاجينا أثر كبير في نفوس الحكام والمؤرخين وحتى المؤرخين قبـل شريعة " حمورابي " العظيم . فقبله بمائة وخمسين سنة ظهر ثلاثة مشرعين وهم " اورنمـو "و " لبث عشتار " و "بلالاما " فكانوا المقدمة الأولى لشريعة حمورابي الشهيرة المتكاملـة .ويقدر العلماء وجود مشرعين قبل ظهور هؤلاء قد تكتشف تشريعاتهم في يوم من الأيـام

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

. فالتشريع السوري هو أقدم تشريع في العالم ونحن نعلم أن التشـــريع الرومـــاني قـــاعدة الحقوق في أيامنا هذه هو من صنع اثنين من تلاميذ مدرسة بيروت في العـــهد الرومـــاني وهما " بابنيا نو " من مواليد حمص (١٤٠ – ٢١٢) قبل الميلاد و " اولبيا نـــو " (١٦٠ – ٢٢٨) قبل الميلاد من مواليد صور وقد شغل منصب أستاذ فـــي مدرســـة الحقـــوق فـــي بيروت ومنصباً في القضاء في رومة .

سابعاً : أول سابقة قانونية في العالم

ثمة ثلاثة رجال : حلاق وبستاني وشخص ثالث غير مذكور اسمه أو مهنته قتلوا أحـــد موظفي المعابد اسمه : " لو– أننّا " وأخبروا زوجة القتيل بمقتل زوجها واسمها " نـــن– دادا وسرعان ما وصل خبر الجريمة إلى الملك فأحال القضية إلى المحكمـــة لمقاضـــاة القتلـــة وكان ذلك في مدينة " نفَّر " ويقيم فيها مجمع المواطنين أو البرلمـــان فمثـــل القتلـــة أمـــام المحكمة لمقاضاتهم فانبرى تسعة رجال يتهمون القتلة الثلاثة بجريمة القتل بما فيهم زوجـــة المغدور به بداعي أنها كتمت سر الجريمة وطالبوا بإعدام الأربعة . فانبرى رجـــلان فـــي قاعة المحكمة يدافعان عن المرأة بداعي أنها لم تكن ملزمة بالإعلان عن تلـــك الجريمـــة . وبعد التداول حكم القضاة على القتلة الثلاثة بالإعدام وببراءة الزوجة بداعـــي أنـــها غـــير ملزمة بإفشاء سر الجريمة لأن زوجها لم يكن يعيلها وقد برأتها المحكمة . بعـــد أن اطلـــع علماء الآثار على هذه المحاكمة الطريفة أحالوا قـــرار المحكمـــة إلـــى المحكمـــة العليـــا الأمريكية للنظر في صحته فكان الجواب بالموافقة على قرار المحكمة أي محكمة " نفَّر "

ومن هنا يتضح مفهوم العدل لدى السوريين القدامى . وقد استمر هذا المفـــهوم قائمـــاً حتى اليوم بإقرار من محكمة العدل الأمريكية .

ثامناً : في الطب

عثرت بعثة الآثار على لوح فخاري يعود تاريخـــه إلى نهاية الألف الثالث قبل الميلاد يبحث في أمور طبية ويعتبر أقدم كتاب موجز في الطب والمكان الذي عُثر فيه على هـــذا الرقيم هو في خرائب "نفَّر " على يد البعثة الامريكية التابعة إلى جامعة "فيلادلفيا " .

يتضمن اللوح شروحات عن كيفية تحضير الأدوية من مراهم وقطرات مستخرجة مـــن جذور وقشور الاشجار ومن المعدنيات مثل ملح الطعام ونيترات البوتاسيوم (ملح البـــارود)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن المواد النباتية مثل القاسيا، والآس والحلتيت والزعتر والصفصاف ، والكمثري والشربين والتين والتمر ...وكانت العقاقير تهيأ إما من البذور أو الجذور أو الفروع أو اللحاء أو الصموغ ويحتفظ بها على هيئة مادة صلدة أو مسحوق . وكانت تستعمل تلك الأدوية كما ذكرنا إما بشكل مراهم أو قطرات .

ولقد صرح العلماء بعد ترجمة اللوحة الفخارية الطبية أن هؤلاء الأقوام كانت لهم دراية بعلم الكيمياء ومما يؤسف له لم يعثر العلماء على معلومات حول الأمراض التي كانت تتطلب مثل هذه العلاجات مع الأمل المستمر أنها ستكتشف في يوم من الأيام .

تاسعاً : في الزراعة

برع السوريون القدامى بالزراعة وكان ذلك بدءاً من الألف السابع قبل الميلاد سواء في وادي الرافدين أو في جنوبي سوريا في " أريحا " على سبيل المثال . فقد عثر العلماء على لوح فخاري بمثابة دليل زراعي يشرح فيه واضعه الطريقة المثلى في زراعة الشعير ، بدءاً من نزع الأعشاب قبل البذور والحراثة وبذر البذور في أثلام مستقيمة إلى الحصاد والدراسة وجمع الحبوب بعد غسلها . فإذا ما قارنا قواعد الزراعة المشروحة في هذا الدليل مع القواعد الحديثة لما استطعنا إضافة أي شيء إليها . ومن أجل عملية الحرث فقد اخترعوا المحراث التقليدي المستعمل حتى أيامنا هذه، غير أنهم كانوا يضيفون إليه انبوباً معلقاً خلف السكة يتساقط فيه البذار فيرتمي في الثلم وهي طريقة مثلى في زراعة الشعير والقمح .

ويعتبر هذا التقويم أول وأقدم تقويم زراعي عرفته البشرية .

عاشراً : في البستنة

ومما يدلُّ على تقدم الزراعة في سوريا أنهم حاولوا غرس الأشجار وبخاصة نوع " السَّربتو "الذي ينمو على ضفاف الأنهار ويصلح مصدَّات للرياح . وحكت لنا الرقم الفخارية القصة التالية :

" كان يعيش في قديم الزمان بستاني اسمه " شيكلوتودا " لم ينل سوى الإخفاق في إقامة بستنة في أرضه . وبالرغم من عنايته الكاملة بإرواء جميع أخاديد وأجزاء البستان كان اليبس يحل بغراسه حتى الموت . وكانت الرياح الهوجاء تلطم وجهه بغبار الجبال وكان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كل ما يرعاه ويعتني به يتحول إلى قفر وخراب . وعندئذٍ رفع عينيه شرقاً وغرباً إلى السماء ذات النجوم الكثيرة ودرس نذر الآلهة وارادتها وبعد أن نال الحكمة الجديدة من جراء تطلعه إلى السماء غرس شجرة " السربتو " في بستانه . وهي شجرة يبقى ظلها الوارف من مطلع الشمس حتى مغربها . وبنتيجة هذه التجربة الناجحة في فن البستنة ازدهر بستان " شيكلوتودا " بجميع أنواع النباتات الخضراء اللون .وحدث ذات يوم أن الآلهة " انانا " (وهي عشتار إلهة الخصب) كانت قد عبرت السماء والأرض واضطجعت قرب بستان " شيكلوتودا " لتريح جسدها المنهوك من التعب . لقد راقبها البستاني وانتهز فرصة اعيائها وضاجعها . ولما طلع الصباح واشرقت الشمس نظرت " انانا" حواليها في دهشة وذعر لما حلَّ بها وآلت على نفسها أن تجد ذلك الإنسان الغاني الذي انتهك حرمتها وجلَّلها بالعار وتنتقم منه ، فسلطت على بلاد سومر ثلاثة أنواع من الأوبئة وهي إن ملأت جميع آبار البلاد بالدم فاصبحت كل احراش النخيل والكروم ملأى بالدم وسلطت رياحاً وعواصف مدمِّرة على البلاد أما البلاء الثالث فطبيعته مجهولة (بسبب تحطيم اللوحة) وتابعت "أنانا " التفتيش عن "شيكلوتودا " وما كان هذا الأخير إلا أن عمل بنصيحة والده فلجأ إلى أصحاب الرؤوس السوداء وهم قبائل " كينجو " واختبأ عندهم ونجا من غضب " انانا" إذ لم تعثر عليه "

هذه الصورة معقدة كما يرى القارىء ومن الصعب تفسيرها . وكل ما تدل فعلى قبائل " كينجو " ذوي الرؤوس السوداء فلم يكونوا من أتباع " انانا " ولذلك لم تعثر عليه . ويدل هذا على أن ما يقول عنهم أبو السمريات " صموئيل نوح كريمر " أنهم سومريون ليسوا سوى قبائل " كينجو " تسللوا إلى وادي الرافدين طمعاً في خصوبة الأرض والعيش الهادىء . وأما ما يقول عنهم العالم كريمر فإنهم مزيج من عدة أقوام يعود نسبهم إلى منطقة سومر كما اصطلح الأكاديون أن يطلقوا على منطقتهم اسم سومر .

الحادي عشر : في الفلسفة

سجل السومريون القدامى أول أراء للإنسان عن أصل الكون وفلسفة الكائنات .

ونظرتهم تلك المتعلقة بأصول الأشياء ونظام الكون لم توضع بشكل صريح واضح . فالمنهج العلمي الذي يدور على التعريف والتعميم كان خافياً عليهم فلم يأخذو بمبدأ العلة والمعلول كما أنهم لم يسألوا عن كيف ولماذا ؟ ذلك المبدأ الفلسفي القائم في وقتنا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحاضر، إذْ اكتفوا ببحث الظواهر الطبيعية وكأنها حقائق لاهوتية يقينية . وهكذا تركز تفكيرهم على استنتاج وجود ما يمكن تسميته " البحر الأول" وهو يمثل بنظرهم السبب الأول لكل شيء في الكون . كما أنهم لم يتساءلوا عما كان الوجود قبل "البحر الأول " سواء في الزمان أو المكان . واعتقدوا انه في هذا البحر ولد الكون أي السماء والأرض يفصل بينهما " الجو " المتحرك المتمدد ومن الجو تولدت الأجرام النيرة مثل القمر والشمس والكواكب والنجوم . وقد أعقب انفصال السماء عن الأرض المرتبطتين بالجو بروز الحياة النباتية والحيوانية والبشرية .

أما من خلق هذا الكون الثابت على مرّ الدهور فقد افترضوا وجود مجموعة من الآلهة أشبه ما تكون بالإنسان ولكنها أعلى منه وخالدة . كما أنها محتجبة عن رؤية الإنسان الفاني وهي تسيِّر الوجود وتسيطر عليه وفق نواميس ثابتة . كما اعتقدوا أن كل إله منوط به جزءٌ خاص من هذا الكون مثل السماء والأرض والبحر والهواء ومجموعة الأجرام السماوية الرئيسية مثل الشمس والقمر والكواكب وقوى الجو وعناصر الرياح والزوابع والعواصف . وعلى الأرض الأنهار والجبال والسهول والحقول والمزارع وحتى الآلهة والأدوات كالفأس وقالب الآجر والمحراث . والذي قادهم إلى هذه الاستنتاجات كما استنبطوها انتقالهم العقلاني من المعلوم إلى المجهول . إذ تصوروا أن البلدان والمدن والقصور والمعابد والحقول والمزارع كلها تقع تحت رعاية حية من البشر . وعلى هذا الأساس تكون القوى الطبيعية التي لا يستطيعون ملامستها وواقعة تحت رعاية كائنات حية على هيئة البشر ترعى شئونها وتسيِّرها . ولولا ذلك لاختل نظام الكون واضمحل . وهذه الكائنات اطلقوا عليها اسم " دنجر " وترجمتها إله وهي غير مرئية ومتفاوتة القدرة ، كما هو الحال في المدن التي يحكمها ملك ومسؤولون آخرون .

لقد افترضوا وجود سبعة آلهة يقدرون المصائر وخمسين إلهاً لقبوا بالآلهة الكبار . وقد ميَّزوا بين الآلهة الخالقة وغير الخالقة . فالخالقة هي السماء والأرض والبحر والجو وإن كل ظاهرة أخرى لايمكن أن توجد إلا من ضمن هذه القوى الأربع ، علماً بأن القدرة الكامنة في الخلق لدى الآلهة هي " الكلمة " أي ارادة الله . والكلمة هذه أصبحت عقيدة لدى جميع شعوب الشرق الأدنى حتى يومنا هذا. على أساس "كن فيكون " ونحن اليوم في عصر العلم والكشوفات لانستطيع أن نطالب الأقدمين بأكثر مما قدموه في فلسفة الكون .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الثاني عشر : أول مثل عليا

إن نظرة السوري القديم إلى الكون والحياة قادتهم إلى الاعتقاد بأن الإنسان إنما خلق من أجل عبادة الآلهة وتزويدها بالطعام والشراب والمسكن حتى يتاح لها القيام بأعمالها دون انقطاع . ومن مراقبتهم للحياة الإنسانية اعتقدوا أن هذه الحياة يكتنفها الشك والالتباس وهي معرضة للأخطار . فالإنسان لايعرف سلفاً المصير الذي رسمته له الآلهة .

وأما الحياة الثانية بعد الموت فتكون في عالم الظلام ، العالم الأسفل الرهيب وهي صورة بائسة عن الحياة الأرضية . ومن خلال هذه النظريات كان السوري القديم يؤمن بالقدرية فهو مسيَّر غير مخيّر . ونحن نعلم من مدونات الأقدمين أنهم كانوا على خلق رفيع فكانوا محبين للصدق والقانون والنظام والعدالة والحرية والصلاح والاستقامة والرحمة والرأفة . كما كانوا يمقتون المعصية والضلال والقسوة وتحجر القلب . وكان ملوكهم يتباهون بإقامة العدل والنظام وكل ذلك مستقى من تعاليمهم الدينية . كما أنهم راقبوا النفس البشرية فتجلت نظرتهم إلى الحياة عبَّروا عنها بأمثال إنسانية عامة صالحة لكل زمان ومكان . وقد دون الأقدمون على لسان الإله " خاي " وهو زوج الألهة ندابا إلهة الحساب والكتابة سخط الآلهة على من :

- تخطى حدود النظم المقررة، ونقض العهود والعقود ونظر نظرة رضا إلى مواطن الشر
- سلك سبيل العدوان واغتصبت يده ما ليس له
- من بدل الوزن الكبير بالوزن الصغير
- من بدل الكيل الكبير بالكيل الصغير
- من أكل ما ليس له ولم يأكل أكلته
- من شرب ما ليس له ولم يشرب شربته
- من قال لآكلن ما حُرِّم
- ومن قال لأشربن ما حُرِّم

كما أنهم دونوا ما تحلت به الإلهة " نانشه " إلهة" اور " من صنوف العدل والرحمة إذ وصفت بما يلي :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- تواسي اليتيم ولا تهمل الأرملة .
- تعدُّ الموضع الذي تهلك فيه الأقوياء
- وتسلم الأقوياء إلى الضعفاء
- إن " نانشه " تنفذ إلى قلوب الناس

هذه هي عقلية السوري القديم وأخلاقه ونظرته إلى الحياة في العهد الوثني قبل أن يعرف الله الأوحد خالق البشر . إنها وثنية غارقة في مكارم الأخلاق والمثل العليا.

الثالث عشر : في العذاب والتسليم

إن قصة أيوب التوراتية التي نتغنى بها منتحلة عن القصة السورية التي يدعى بطلها " يُسري مُشري شاقان"فهذا الرجل السوري كما جاء في الرقم الفخارية غمرته النعمة من كل جانب مالاً وجاهاً وقوة وفجأة توالت عليه الأحداث وفقد ثروته وجاهه كما اصيب بالأمراض فتألم وتعذب إلى أبعد الحدود . وكما جاء في قصة أيوب التوراتية المنتحلة عن قصة " شاقان" قد عاده ثلاثة من اصدقائه ورثوا لحاله واخذوا يشككونه بإلهه " مردوخ " غير أن " يسري شاقان " أبى الانصياع إلى آرائهم وبقي ثابتاً على ايمانه لا يتفكك عن الابتهال إلى " مردوخ " مردداً قوله الشهير :" إن ما نراه خيراً قد يكون بنظر الاله شراً وما نراه شراً قد يكون خيراً . " واستمر " يسري " على هذا الإيمان حتى استجاب إليه الإله " مردوخ " وأعاد له صحته وجاهه السابق . إنها قصة الإيمان وفلسفة سجلها لنا السوري القديم وسرقتها كتبة التوراة تحت اسم " أيوب " وراحت مثلا .

الرابع عشر : الأمثال

تدل الأمثال السورية القديمة على عمق المفهوم الإنساني وتشكل قاسماً مشتركاً بين جميع أبناء الحضارات حتى يومنا هذا كقولهم :

" – لقد ولدت يوم نحس . (ويعنون بذلك القضاء والقدر ازاء الفشل) "

" – أيكون حمل دون جماع (وهذا يمثل العلة والمعلول)"

" –وهل تحدث سمنة دون أكل ."

وكقولهم في الأفراد الفاشلين :

" – لو وضعت في الماء لفسد الماء "

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

"- ولو وضعت في البستان لبدأت أثماره تفسد "

وقولهم :

"- كتب علينا الموت فلننفق

"- وما دمنا نعيش عمراً طويلاً فلنقتصد

ويقولون :

"-خير للفقير أن يموت من أن يعيش"

"-فإذا حصل على الخبز عدم الملح "

"-وإذا كان لديه الملح عدم الخبز "

"-وإذا كان لديه اللحم فيكون قد فقد الحمل "

"-وإذا كان عنده الحمل فيكون قد فقد اللحم "

ويقولون في الإنفاق :

"- يقضم الفقير فضته "

"- يقترض الفقير فتركبه الهموم "

ويقولون في ثورة الشعب على الطبقة المثرية :

"- ليس كل عيال الفقراء مستسلمين على السواء

ويقولون في الفقير الذي أخفق في عمله دون أن يكون مقصراً :

"- إنني جواد أصيل ولكنني ربطت مع بغل

"- ووقع علي أن أجرَ العربة وأحمل القصب والأكداس

كما كانوا يقدرون قيمة اللباس كقولهم :

- كل فرو يميل إلى الشخص الذي يلبس الحلة الفاخرة ويقولون في المرأة:

- المرأة البرمة القلقة في البيت تضيف عذاباً إلى عذاب

- القلب الفرح - العروس

- القلب المغتم - العريس

ويبدو أن الكنة كانت ذات منزلة رفيعة كقولهم :

- محل التجارة في الصحراء هي حياة الرجل

- والنعل يمين الرجل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- والزوجة مستقبل الرجل
- أما الكنة فشيطان الرجل

وهناك الكثير من هذه الأقوال وكلها تدل على عمق فهمهم لإنسانية الإنسان

خامساً : في المناظرات

كان السوريون القدامى دقيقي النظر في دراسة الطبيعة البشرية فهم أسلاف الانتروبولوجيين الحديثين وقد عكفوا على تحليل عناصر المدينة وجزأوها إلى أكثر من مائة نظام وحرفة وصنعه وميول وأساليب عمل .ولاحظوا أن العديد من هذه العناصر مترابط بهيئة أزواج متناقضة مما أثار عندهم أسلوب الجدل . فظهرت المناظرات. نقدم هنا واحدة منها على سبيل المثال وهي المناظرة بين الراعي والفلاح أو ما نسميه بين البداوة والحضارة.

إن المناظرة التي نقدمها هنا باختصار هي بين الراعي " أيميش" والفلاح " إينتين" فعندما نشأت المستعمرات الزراعية كان الرعاة يسطون على المستعمرات معتقدين أن لهم الحق في ذلك فراح كل من الراعي والفلاح يتباهى باعماله وقد دعاهم ذلك للاحتكام إلى الاله " انليل " وفي حضرة الاله اخذ كل من المتخاصمين يشيد بأعماله وأنه أحسن من أخيه وكان ذلك لوقف الصراع القائم بينهما .

قدم الراعي تقدمة إلى الإله من مواشيه والفلاح تقدمة من انتاج الأرض وبعد أن استمع الإله " انليل " إلى دفوع كل واحد منهما تقبل تقدمة الفلاح " إينتين " معلناً أن الفلاح أهم من الراعي وبموجب هذا الحكم تكون الزراعة قد انتصرت على حياة الرعي ووجبت المحافظة عليها من كل اعتداء ، وازاء هذا الحكم تنتفي العداوات بين أصحاب المزارع والرعاة وما كان من الراعي إلا أن ركع أمام أخيه وتصالح الإخوان .

تذكرنا هذه القصة بالقصة التي انتحلها اليهود تحت عنوان " قايين وهابيل" وهما الفلاح والراعي المتخاصمان . تماماً كما حدث في القصة السورية غير أن القصة التوراتية بعد أن لفظ الإله الحكم لمصلحة الزارع أي لمصلحة " قايين " قام هذا الأخير وقتل أخاه الراعي فما معنى هذا التحريف المغاير لمضمون المناظرة السورية ؟ إن كتبة التوراة ارادوا بالفلاح " قايين " أن يمثل الشعب الكنعاني المزارع وأن يكون " هابيل " الراعي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ممثلاً للشعب العبري وهذا واقع تاريخي لأن الكنعانيين كانوا بناة مستعمرات زراعية وأما العبريون فكانوا رعاة قائمين في المرتفعات . إن كاتب التوراة أراد أن يوصم الكنعانيين بالقتل وأن العبريين أي اليهود بمن وقع عليهم الغدر . فالنزاع الذي قام بين اصحاب المزارع والرعاة انتهى بجريمة قتل وحقد مرير على الكنعانيين وهذا ما أراد كتبة التوراة تسجيله .

السادس عشر : في أدب الملاحم

إن أروع ما أتى به السوري القديم في عصر البطولات هو أدب الملاحم كملحمة " أدابا " الرجل الصالح والملك " إيتانا " الذي وجد خلود الإنسان بالولد " وجلجامش " ملك " اوروك " وجد الخلود بالأعمال وثمة ملاحم أخرى مثل ملحمة " كيريت " الملك الكنعاني " وايتمركار "وغيرهم . أما أهم هذه الملاحم فهي دون تردد ملحمة " جلجامش " التي تناقلتها جميع شعوب المنطقة على مرّ العصور حتى أيامنا هذه لما فيها من دراسات نفسية عميقة مثل :

– معاقبة جلجامش من قبل الآلهة إذ أرسلت إليه إنساناً متوحشاً عله يقضي عليه أو يحد من طغيانه وظلمه .

– الصراع العنيف بين "جلجامش " والإنسان البدائي المدعو " انكيدو" دون أن تكون لأحدهما الغلبة .

– ترويض انكيدو" على يد غانية المعبد حيث لازمت " انكيدو " سبعة أيام وسبع ليالٍ حتى روضته وجعلته إنساناً سوياً وأصبح صديقاً "لجلجامش " خاض معه اصعب المحن وانتصر عليها .

– ومن ثم يموت " أنكيدو " ويحزن عليه "جلجامش " حزناً عميقاً ويخشى " جلجامش " أن يكون مصيره مثل " انكيدو " . فأمام فكرة الموت يذهب "جلجامش" إلى مقر " اوثنابيشتيم " (نوح التوراة) ليفهم منه سر الخلود فيدله " اوتنابيشتيم " على نبتة في قعر البحر ولما حاول جلجامش الحصول على هذه النبتة بواسطة ملاح " اوتنابيشتيم " تمَّ له ذلك فأخذها وعاد أدراجه إلى مملكة " أوروك " . وفي الطريق وجد ماءً فهمَّ للاغتسال فيها بعد أن وضع النبتة قرب الماء . ولكن حية كانت هناك فشمت رائحة النبتة واستلت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إلى حافة الماء وسرقت النبتة فأصبحت الحية بواسطة هذه النبتة خالدة والدليل على ذلك ظاهرياً تخليها عن جلدها كل سنة تجديداً لحياتها . وأما "جلجامش " بعدما علم بما فعلته الحية قال في نفسه إن الإنسان محكوم عليه بالموت ولا مجال هناك ليكون خالداً . فخلوده لا يمكن أن يكون إلا بإعماله .وفي ضوء هذا القرار رجع " جلجامش " إلى مملكة " اوروك يحسن فيها معالمها ويبني سوراً اشترك هو في بنائه ويحكم بالعدل والحق حتى اصبح خالداً اسمه أبد الدهر .

وفي هذه الملحمة الكثير من العبر الفلسفية وما يتعلق منها بالصداقة ودور المرأة في تهذيب الرجل كما فيها وصف القلق والحزن والخوف من عالم بعد الموت . هذه هي بإيجاز كلي ملحمة جلجامش الشهيرة وهي أدق وأعمق من كل ما جاء به "هوميروس " الذي يلقبونه بأبي الملحمة في العالم بينما ملحمة " جلجامش " تسبقه بألف وخمسمائة سنة . ولقد آن لنا أن نكشف الغطاء عن رجالاتنا الأقدمين إحياءً لذكراهم واعتزازاً بأعمالهم .

وإلى هنا نتوقف عن شرح مهد الحضارة السورية التي اعطت العالم اغنى ما يمكن أن يعطيه شعب من الشعوب أعطت أمثال : "أوروكاجينا " أول مصلح اجتماعي في التاريخ " وحمورابي " اعظم مشرع ورجل دولة في سوريا الطبيعية، و " أبولودور الدمشقي " اشهر المهندسين المتفوقين على مهندسي " أثينا" و"روما " وصانع أول جسر على نهر الدانوب، وواضع اسس الهندسة العشرية، ومصمم اروع ساحة وأهم مكتبة وسوق في روما، وأمثال " بيتاغور" و " زينون " وواضعي الحقوق الرومانية " ولونجن " وزيرالملكة " زنوبيا " ومئات الفنانين الصناعيين من ناقشي الحجر والذهب والفضة والمرمر والخشب وصانعي الفسيفساء وكلهم مذكورون في هذا الكتاب تحت فصل " رواد الفكر الأوائل " والملوك والقواد الأوائل ...

إن سوريا رفعت مشعل الحرية في العالم ومشعل العلم والمعرفة ولما تزل ، وفي أيدي أبنائها في المغترب تلك الشعلة التي جعلت من سوريا معطية العالم كل علم وفن وفلسفة حتى جاز كما سبق وقلنا بلسان " اندره " بارو" مكتشف مدينة " ماري " " إن كل إنسان في العالم له وطنان ، وطنه الذي يعيش فيه وسوريا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صرح الحضارة السورية القديمة

الحاضرات الكبرى وأوائل الملوك والقواد ورواد الفكر

فوق المهد السوري الحضاري الدافىء ارتفعت صروح الحضارة السورية بكل ما فيها من رونق وعظمة وجمال . فتهافت العلماء من كل فج وصوب إلى الرقعة السورية المعروفة مؤخراً وعلى لسان العالم التاريخي الأمريكي " بريستد " بالهلال الخصيب .وما كان أشد إعجابهم بالمكتشفات الأثرية التي أماط عنها اللثام علماء التاريخ والارخيولوجيا منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى اليوم ولا يزال الحفر مستمراً . ولا تزال الآثار واللقى تبتسم لوجه الشمس تحت المعاول . وإذا بسوريا نبع غزير من الحضارة غيَّر وجه التاريخ إذْ لم يكن بين أيدي المؤرخين أكثر من كتاب التوراة يستندون إليه في أبحاثهم وإذا باللقى السورية تهزأ بما كان بين أيدي العلماء من ثوابت كما كانوا يعتقدون وإذا بالحضارة السورية تكشف القناع عن مكنوناتها فهي الينبوع الغزير الذي غرفت منه الأمم كل علم وفن وفلسفة حتى قال أحدهم وهو العالم " اندره بارو"مكتشف مدينة " ماري " : إن كل إنسان في العالم له وطنان وطنه الذي يعيش فيه وسوريا " . وإلى جانب هذا القول المأثور أقوال أخرى لعلماء كبار سنأتي على ذكرهم متى دعا الشرح إلى ذلك .والآن نبدأ بشرح معالم الحضارات السورية الكبرى وهي : أوغاريت وماري وايبلا

حاضرة أوغاريت

تاريخ حفريات أوغاريت :

إن أول معول أيقظ حضارة أوغاريت كان في نيسان ١٩٢٧ بدأ الحفر في تل يدعى " رأس شمرة " وقد كشف عن خمس مدن أو خمس سويات حضارية متراكمة بعضها فوق بعض واستمر الحفر حتى عام ١٩٣٤ ، قبل اشتعال نار الحرب العالمية الثانية . وفي عام ١٩٦٠ استأنفت بعثة " شيفر " الفرنسية أعمالها بترخيص من الحكومة السورية وكانت هذه البعثة تستأنف أعمالها في كل خريف من كل سنة وكانت مديرية الآثار العامة يزداد اهتمامها يوماً بعد يوم بالمكتشفات الحاصلة . وقد ابانت هذه المكتشفات أن أثار الفخار المكتشفة تشبه فخار سوريا الداخلية ووادي الفرات الشمالي مما يدل على أن شعوب هذه المنطقة لها ملامح متشابهة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رأس شمرة وبلاد ما بين النهرين والحثيين والمصريين والحوريين :

يبدو جلياً أنه كانت " لرأس شمرة " علاقات مع بلاد ما بين النهرين . في الألف الرابع والقسم الأول من الألف الثالث قبل الميلاد . وكانت هذه العلاقات متأثرة بالمدينة " السومرية " "والكلدانية " بدليل أن البطل " جلجامش " كان قد اكتشف سوريا الشمالية ومن بعده الملك " سرجون " الاكادي في القرن الثامن والعشرين . وفي الثالث والعشرين قبل الميلاد والرابع والعشرين منه يبدو أن ملوك " اور" من السلالة الثالثة اهتموا بالمناطق الغربية على غرار أسلافهم البابليين . إن تأثير بلاد ما بين النهرين بدا واضحاً من الفخار المكتشف فهو فخار ناعم ، يحمل ألواناً مختلفة وهندسات ذات ألوان مختلفة : الأسمر الغامق ، والبنفسجي والأسود والأصفر الفاتح والرمادي . كما تبين أن دفن الأموات في قوارير كان مألوفاً ومنذ هذا العهد أصبحت المدينة التي عرفت باسم " اوغاريت " محط انظار رجالات اسيا والبحر المتوسط.

والجدير بالذكر هنا أن مدن الساحل السوري كانت على علاقات وثيقة مع بعضها البعض كما أن نشاط "رأس شمرة " الاقتصادي ازداد في عهد السلالة الحادية عشرة والسلالة الثانية عشرة في مصر وفي عهد " حمورابي " في العراق القديم . وفي هذا العهد بالذات أنشىء معبد "داجون " ومعبد " بعل " وفي هذا العهد أخذت المدينة اسم "اوغاريت " ويعني الحقل " كما أن الاله " داغون " يعني الحبوب وتتلاقى اللفظة في اللغة الكنعانية مع لفظة "دجن" العربية

وعلى أساس الحركة الاقتصادية في اوغاريت وموقعها التجاري استراتيجي اقامت لها علاقات واسعة مع المصريين والحثيين والحوريين والكريتيين وكانت السيطرة الكبرى في اوغاريت للمصريين والحوريين .

السلالة الملكية الأوغاريتية :

يمكن تنظيم قائمة ملوك سلالة أوغاريت على الوجه التالي :

نقمد الأول القرن الثامن عشر أو التاسع عشر ق.م .

باقاروم الثاني

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ايبرا	القرن الخامس عشر
باقاروم الثاني	
اميستمار الأول	
نقمد الثاني	منتصف القرن الرابع عشر .ق . م .
ارحالبا ، نقمبا	القسم الأخير من القرن الرابع عشر. ق . م .
امستمار الثاني	النصف الأول من القرن الثالث عشر .
امبيرانا	
نقمد الثالث	
حمورابي (غير حمورابي ما بين النهرين)	

هـــدم أوغاريت

يتضح من كتاب اشوري وجد في رأس شمرة أن بلاد اوغاريت كانت تحكمها ملكة فـي القرن الثالث عشر . ق. م . كما يستدل من الكتاب المذكور أن اوغـــاريت كـــانت علـــى علاقات وثيقة مع بلاد " اشور " وفي هذه الأنباء أي في نهاية القرن الثالث عشـــر وبـــدء الثاني عشر غزت شعوب البحر مدينة اوغاريت آتية مـــن البلقـــان والســـواحل اليونانيـــة واستولوا على المدينة وهدموها ومن ثم تابعوا مسيرهم نحو الجنوب .

بعد هدم أوغاريت

استمر موقع اوغاريت مرفأ ناشطاً للتجارة اليونانية بالدرجة الأولى في القرن الســـادس عشر والقرن الخامس .

مرونة الملك "نقمد الثاني" في السياسة :

سبق وذكرنا أن علاقة اوغاريت بالفراعنة والحثيين كانت متينة .وقد رأى الملك " نقمـد " أن من مصلحة مملكته المحافظة على هذه العلاقة المزدوجة ، إلى حد أن بعض الرســائل كانت تعنون بعنوان " الملك الشمس " ومن المعروف أن هذه الصفة كانت تنطبـــق علـــى الملك الحثي وعلى " فرعون " على السواء فإذا ضاعت رسالة بهذا العنوان فلايعرف مـــا إذا كان لقب " الملك الشمس " يعني فرعون أو الملك الحثي . هذه الحكمة فـــي السياســـة أبقت اوغاريت بعيدة عن الصراع الحثي الفرعوني . وهذا ما أوصى به الملـــك خلفـــاءه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حتى أن زواجه من أميرة مصرية لم يمنعه من تأدية الجزية إلى جيرانه في الشمال ، الحثيين . وهذا ما دعم استقرار ملكهم فترة طويلة .وازداد ازدهار أوغاريت بعد معركة قادش بين الحثيين والمصريين في عام ، ١٢٧٦ ق. م . وقد ظهر هذا الازدهار في مفروشات المدافىء العائليةالعائده إلى القرن الثالث عشر .كما أن اوغاريت قد ازدهرت أيضاً بفعل تعاملها مع الإيجيين والقبرصيين منذ بدء الألف الثاني ومع مصر منذ القرن الخامس عشر كمستعمرة مصرية .

هدم أوغاريت :

تبين في الكتابات الأشورية أن اوغاريت كانت تحكمها ملكة في القرن الثالث عشر كما كانت لها علاقات وثيقة مع آشور .

والذي قضى على أوغاريت كان بفعل هجوم "شعوب البحر " عليها في نهاية القرن الثالث عشر وبدء الثاني عشر . وقد جاءت هذه الشعوب عن طريق البلقان والسواحل الشمالية من البحر الأسود وقد التحمت معها شعوب البلاد اليونانية فانطلقت واحتلت " أوغاريت وهدمتها ثم تابعت سيرها نحو الجنوب .

لم يبقَ تل رأس شمره بعد هدم اوغاريت قفراً بل استمر مركزاً تجارياً تحت أيدي اليونانيين والايجيين وغيرهم ممن سكنوا اوغاريت . وقد تأيد ذلك بوجود عملة فينيقية من ارواد يعود تاريخها إلى ١٢٥٠ قبل الميلاد ومدافن يونانية من عهد السلوقيين وعدد وفير من قطع العملة الرومانية وبعض القطع العربية والتركية وجدت كلها على سطح التل .

الحضارة الاوغاريتية :

البلاط : دلت اللقى الأثرية أن سلطة ملك اوغاريت كانت مطلقة ، فهو الرئيس السياسي والعسكري معاً . إن سعة القصر واللقى التي وجدت فيه تدل على العظمة وتدل على ذلك الصفائح الذهبية الكبيرة والكثيرة من المفروشات المحروقة . وقد وجدت بين الرماد أوان ذهبية كثيرة وبقايا صناديق صغيرة من العاج وأوان من اللازورد وعدد كبير من الصناديق الصغيرة المصنوعة من الرخام الملون والعقيق وغيرها مثل رخام الديوريت المرسل من مصر إلى ملك اوغاريت والعديد من الكراسي المذهبة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما الملكة فكان لها دور هام جداً في البلاط بدلالة الكتب الموجهة إليها من قبل بعض الشخصيات يطلبون وساطتها لدى جلالة الملك .وأما فيما يتعلق بثيابها وحلاها فتدل المعلومات على حياة البذخ . ولقد دلت مفردات حلى الملكة أخت " ملكو " على وجود عقود ذهبية مرصعة بأحجار كريمة وخلاخل وأساور وكأس من الذهب وكؤوس من الفضة وزنانير من الذهب وعشرين علبة تبرج .... الخ.

هذا وقد كان الملك يعاقب المسيئين في البلاط بقسوة شديدة والأمثلة على ذلك كثيرة وكلها وجدت مدونة .

التنظيم العسكري :

كانت أوغاريت تخشى الغارات المفاجئة عليها سواء من قبل الحثيين أوالمصريين أو من قبل قراصنة البحر ولذلك أقامت حصناً في أوغاريت يطل على البحر يحمي المدينة وخاصة القصر . وكان هذا الحصن موضوعاً تحت قيادة حاكم عسكري . ولقد وجدت في الحصن أدوات حرب عديدة مثل مقاليع وأقواس وسهام ودرع يسمى " السيربون "

وكانت الجياد محصنة بدروع محرشفة والعربات تتألق بفعل تصفيحها بالذهب . وذكر في إحدى الكتابات أن الملك طلب دفعة واحدة ألفي جواد مما يدل على أهمية الجياد في الجيش الأوغاريتي .

التشريع الأوغاريتي :

لم تظهر حتى الآن نصوص حقوقية بالمعنى الصحيح على غرار ما جاء في بلاد ما بين النهرين مثل قانون "لبث عشتار" وقانون "اشنونا" وقانون "حمورابي " إلا أن ما تم الكشف عنه من قوانين " اوغاريت " يصور التقاليد الحقوقية فقط. إنّ النصوص الحقوقية لاوغاريت دُونت باللغة الاكادية وليس الاوغاريتية وكان ذلك في الألف الثاني ق.م . وهي اللغة الدبلوماسية والحقوقية في الشرق الأدنى.

وأما النصوص الاوغاريتية المكتشفه فيمكن تصنيفها كما يلي :

- الصكوك والعقود الجارية أمام شهود
- الصكوك التجارية أمام الملك
- صكوك الملك نفسه وهي بمثابة مراسيم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأماالصكوك والعقود الجارية فتشمل :

- الوصية
- عتق عبد
- المبيع
- الصك الملكي
- عقد المبيع
- التبني
- تسوية إرث

وقد وجدت نصوص هذه الصكوك كاملة لكل عقد .

الحياة الاقتصادية :

سبق وذكرنا أن أهمية اوغاريت التجارية كانت كبيرة جداً في مصر أو بحر ايجـــى أو الشرق الأوسط لدى الحثيين وغيرهم فقامت فيها عدة صناعات منها :

- نقابة مندوبي الفضة
- صناعة الأسلحة
- الأواني البرونزية
- الأسلحة
- نقابة الصناعات المعدنية
- نقابة صانعي العربات
- صناعة البرفير والفخار
- صناعة الزيت والنبيذ

الفنون

إن الفن السوري كما ظهر في أوغاريت في الألف الثاني ق.م . تأثر بالفن المصـــــري وبفن العالم الإيجي دون أن يتنكر لأصله الآسيوي .

ومن الصعب تعداد جميع القطع الفنية التي عثر عليها ولذلك نكتفي بذكر بعضها :

- صحن ذهبي ويدل على تآلف بين الفن السوري والإيجي
- تمتاز الباز مستوحى من الفن المصري وهو مصنوع من البرونز المطعـــم بـــالذهب

ومن القطع المستوحات من الفن الإيجي :

- أواني الشرب بشكل قرن أو رأس حيوان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- القناعات النسائية على الكؤوس الخزفية الملونة
- إلهة الخصب الجميلة المنقوشة على غطاء حلى عاجية
- لوحة عاجية كبيرة تعود إلى الشرق الأدنى أو مصر يبلغ عرضها متراً واحداً وعلوها نصف المتر .

ويدل الفن الأوغاريتي على أصالة مميزة فبالرغم من التأثيرات المصرية والبابلية والايجية حافظ فنانو أوغاريت على مهارتهم الخاصة

الديـــن :

في الألف الثاني قبل الميلاد كان دين الفينيقين واحداً من جنوب فلسطين حتى شمال سوريا بما فيها أوغاريت .

إن آلهة اوغاريت كانت كما يلي :

- الإله " ايل " سيد الآلهة وخالق الخليقة ذو الحكمة الكلية وزعيم الآلهة إنه زعيم السلام والمحبة ولذلك قال الغربيون أن الكنعانيين دقوا أبواب التوحيد .
- " بعل " هو إله العواطف والأمطار وبنوع خاص إله الخصب وإله الحرب أيضاً
- " اليان بعل " إله الينابيع
- " موت " إله الحصاد
- " داغون أو داجون " مخترع الحنطة والمحراث
- " اشيره " شريكة " ايل وبعل "
- " عنات" أخت بعل الآلهة العذراء المحاربة وإلهة الخصب
- " عشتروت " إلهة الحب والخصب وهي عند اليونانيين " الزهرة "

هذا ولم تتنكر أوغاريت إلى بعض الآلهة الغربية

الآداب : إن القصائد التي عثر عليها تدل على مواهب شعراء أوغاريت الأدبية فضلاً عن الكشف عن ديانة الفينيقيين .

وأما الأعمال الأدبية التي تم الكشف عنها فنلخصها كما يلي :

١. أسطورة " كيريت "

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢. اسطورة الملك " دانيال "
٣. اسطورة " بعل " الكبرى
٤. اسطورة " بعل وأمير البحر "
٥. ولادة الآلهة الظريفين والجميلين
٦. نشيد الآله " نيكال " والآلهات كوزاروت
٧. منتخبات شعرية

هذا ومن الواضح أن فصل الأداب هذا يتطلب دراسة مطولة لاتتفق مع مضمون هـــذا الكتاب .

أبجدية أوغاريت :

والآن نصل إلى أعظم ما أنتجته أوغاريت ألا وهو الأبجدية ذات الثلاثين حرفـــاً فقـــط لبت جميع حاجات الكتاب، وقد تبنى العالم أجمع هذه الكتابة حتى اليـــوم واعتـــبر علمـــاء الغرب هذه الأبجدية أنها "خلق مفاجئ" أعطى البشرية أعظم ما يمكن فـــي حقـــل الكتابـــة والتدوين، ويقال أن علماء أوربا عيدوا يوماً كاملا احتراماً إلى ابـــن أوغـــاريت الســـوري الذي اخترع الأبجدية. وعندما تم الكشف عن قراءة هذه الأبجدية ساعد ذلك علـــى قـــراءة العديد من الكتابات الأوغارتية ومنها :

الملاحم والكتابات المتعلقة بالحسابات والكتابات المدرســـية، ولوائـــح بأســـماء أعـــلام ولوحات تاريخية تسلسلية وأبحاث علمية وكتابـــات تتعلـــق بممارســـة الطقـــوس الدينيـــة ونصوص هجائية ونصوص رسمية ومحفوظات دبلوماسية ومستندات تجارية ونصـــوص تتعلق بالتنظيم العسكري، لوائح بأسماء المدن والقرى والأشهُر التي لم تكن معروفـــة فـــي بلاد ما بين النهرين وهي: مجمر، بجرم، رزين، نفل، هلت، جن اسب وهيـــار وتســـريت وهما اليوم أيار وتشرين.

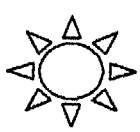

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحاضرة الثانية الكبرى" ايبلا " :

كانت البادية السورية الممتدة من الفرات إلى حدود بلاد الشام الشرقية تشكل هاجساً لدى علماء الآثار لاعتقادهم بأن هذه البادية تصحرت إلى حد ما عبر الزمن ولابد أنها كانت عامرة في يوم من الأيام. ولقد سئل ذات يوم البروفيسور" كلود شيفر" مكتشف مدينة"أوغاريت" أين يتمنى أن يقضي آخر أيامه فأجاب " أتمنى أن يكون ذلك في البادية السورية أو ما نسميه حتى الآن : " بالصفحات البيضاء" ويعني بذلك أن البادية خالية من أي أثر تاريخي حتى الآن .

إن أمنية " كلود شيفر" قد تحقق قسم منها المتعلق بالصفحات البيضاء إذّ تبين أنها فعلا ليست بيضاء وذلك باكتشاف مدينة " إيبلا " التي غيرت وجه التاريخ أما" كلود شيفر" فلم تساعده الحياة على العمل في هذه البادية إذّ كان ذلك من حظ العالم" باولو ماتيه" الايطالي.

عمليات التنقيب في موقع" ايبلا "

تقع " ايبلا " قريباً من بلدة "سراقب " تبعد ستين كيلو متراً عن حلب، فوق تل يدعى محلياً" تل مرديخ". بدأت عمليات التنقيب في" تل مرديخ" منذ عام ١٩٦٤ . وحققت مايلي:

بين ١٩٦٤–١٩٦٨ تمَّ الكشف عن البوابة الجنوبية الغربية لسور المدينة إنها بوابة ضخمة يبلغ طولها ٤٥ متراً مبنية من الحجر.

كما تم الكشف عن عدد من المساكن والمعابد والقصر الملكي.

وفي عام ١٩٦٨ تم الكشف عن حوضين مزينين بمنحوتات طقسية يرجع عهدهما إلى حوالي ١٤٥٥–١٨٥٥ قبل الميلاد.

اللقى الأولى :

في عام ١٩٦٨ تم العثور على تمثال رجل بين أنقاض المدينة المرتفعة، كما وجد على كتف التمثال كتابات بالأحرف المسمارية واللغة الأكادية تفسيرها:" يقدم نذراً (أب– بيت– ليم) ابن (أج– ريش) أو"بجرش" تمثاله إلى معبد " عشتار".

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إن هذه الكتابة دلت باليقين على موقع"تل مرديخ" فهو موقع "إيبلا" المعروف اسمها في عهد سرجون الأكادي وحفيده "نارام سين" الذي دمرّ مدينة"إيبلا" حوالي عام ٢٢٥٠ق.م ويفتخر " نارام سين" بأنه فتح مدينة" إيبلا " ومدينة " ارمان ، اللتين لم يسبق أن فتحهما إنسان منذ الخليقة "

إذن هذه هي مدينة "إيبلا " التي غابت عن الوجود حتى اليوم شأن مدينة "أكاد" التي لاتزال مجهولة الموقع حتى الآن .

وتستمر أعمال التنقيب في تل" مرديخ" حتى عام ١٩٧٣ كما يستمر العثور على اللقى التي تعود إليها حتى حوالي عام ١٨٥٠ق.م.

مراحل إيبلا التاريخية :

بنتيجة الحفريات تبين أن " إيبلا " مرت بمرحلتين :

الأولى من ٢٤٠٠ – ٢٢٥٠ والثانية من ٢٠٠٠ إلى ١٨٢٠ ق.م انتهت المرحلة الأولى على يد " نارام سين" وأما الثانية فقد انتهت في عهد" حمورابي".

الآثار المكتشفة :

القصر الملكي : بين عامي ١٩٧٥و١٩٧٤ عثر على معالم معمارية ضخمة ومحفوظة جيداً في الجزء الجنوبي الغربي من المدينة المرتفعة وبنتيجة فحص الكُسر الفخارية تبين أنه يرجع تاريخها إلى الألف الثالث ق.م وهي الفترة المعاصرة للأسرة الأكادية .

ومن قراءة الرقم تبين أن القصر الملكي أصابه الدمار والحريق وذلك حوالي عام ٢٢٥٠ق.م

الكنوز التي كشف عنها من القصر الملكي :

كشفت أعمال التنقيب عن هدم القصر الملكي عام ٢٢٢٠كما سبق وذكرنا وهو مؤلف من باحة سماوية محاطة بأروقة ولعلها قاعة استقبال، ويحيط بالقصر جدار بخمسة عشر متراً له ثلاثة مداخل أحدها يؤدي إلى مصطبة شرف يجلس فيها الملك.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفي إحدى غرف القصر عثر على آلاف الرقم الطينية وقد وجدت في خمسة محلات:

١. المكتبة وعدد الرقم فيها حوالي ١٥٠٠٠ رقيم وكسرة. ذات موضوعات تجارية واقتصادية وإدارية وتاريخية ومعجمية وأدبية.

٢. المخزن وقد عثر على ألف رقيم تتضمن موضوعاتها أموراً ادارية تتعلق بتوزيع المؤن على الرسل والممثلين.

٣. غرفة وفيها ٥٠٠ رقيم ذات موضوعات اقتصادية وتاريخية

٤. حجرة في المنطقة الجنوبية من القصر وفيها ٤٠٠ رقيم اقتصادي وتتعلق بصورة خاصة بالزراعة وتربية المواشي.

٥. الحجرة رقم ٢ في المنطقة الشمالية من القصر الملكي وفيها ٤٠ رقيما بموضوعات اقتصادية.

وأما الحريق الذي داهم القصر فقد سبب تخفيف حدة الرقم وجعلها صلبة كالقرميد وكان ذلك سبب حفظها سالمة.

وإليكم بعض أوصاف الرقم المكتشفة :

١- أصبحت اللوحات الفخارية بفعل الحريق صلبة كالقرميد.

٢- بلغ عدد الألواح واجزائها ١٥٠٠٠ وبحالة سليمة.

٣- أحجام الرقم مختلفة يصل طول الكبير منها إلى ٤٠ سنتمتراً.

٤- كانت الألواح منسقة على مكتبات خشبية يبلغ عمقها ٨٠ سم. وارتفاعها ٥٠سم

٥- كتبت الألواح بالكتابة المسمارية التي أوجدها السومريون والتي تطورت وانتشرت في سوريا وكانت أوغاريت أول من نظم هذه الكتابة على أساس الحروف الهجائية ولبس على أساس صورة الكلمة.

٦- وأما اللغة فتمثل أقدم لغة عربية معروفة وتعتبر بوجه عام إحدى ثلاث لهجات كانت معاصرة : الأكادية في الرافدين والايبلائية في سوريا الداخلية والكنعانية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في الساحل السوري التي تتضمن اللهجة الأوغاريتية والفينيقية وبالاضافة إلى هذه المصطلحات كانت السومرية.

وكانت هذه اللغة الأخيرة أي السومرية هي لغة المنطقة الدبلوماسية وتتميز بمايلي:

١- أنها أقدم لغة عربية معروفة ومكتوبة بالمسمارية حتى الآن باستثناء اللغة الأكادية الشرقية.

٢- إنها لهجة من اللهجات القديمة وتتضمن نفس القواعد إنما خالية من الأفعال الزمنية الماضي والحاضر والمستقبل.

٣- إن كلماتها غير واردة في المعجم الأكادي.

٤- تعتبر كل اللهجات المنتشرة في الشمال الغربي في سوريا هي لهجات عمورية ذات مسحة إيبلائية.

٥- إن اللهجة الإيبلائية مزيج من اللهجات البدوية والحضرية في المنطقة

وأما مواضيع هذه الكتابات فمختلفة وهي من :

- أوامر ملكية وتقارير موظفين حول أوضاع الدولة
- معاهدات وأحلاف دولية ومواثيق
- ألواح تعليمية
- نصوص تجارية
- نصوص أدبية
- نصوص تاريخية تعود إلى ما قبل عام ٢٢٥٠ من مصرية ورافدية.
- نصوص جغرافية تتضمن مئات المدن التي مازال بعضها قائماً حتى الآن مع أسماء سلالة الملوك المتعاقبة على إيبلا.
- معلومات عن الديانة المتعددة الآلهة
- معلومات عن الحياة الاجتماعية والعادات. منها أن أحد الملوك كان له ٣٨ ولداً وأن اغتصاب العذراء هو الموت وأن المرأة خلقت من الضلع السادس للرجل وتُمثّل بالحية والطرد من الجنة هذا وإن الأفكار الرئيسية لقصص الخلق كانت أساساً للروايات التوراتية وأما الكاهن فيمارس السلطة القضائية المطلقة ويصدر الأحكام .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أهمية ألواح إيبلا المكتشفة :

١- إنها تتضمن معجم لفظي بين لغتين الآشورية والسومرية يرجع تاريخ المعجم إلى عام ٣٠٠ ٢ ق.م . وقد ساعد هذا المعجم على تفسير الكثير من الألفاظ السومرية التي لم تكن معروفة قبل اكتشاف " إيبلا "

٢- تعتبر "إيبلا" أول من طور نظام الكتابة المسمارية

٣- دلت الرقم على اقدم تحالف وقع بين" إيبلا" "وآشور"

٤- إن لغة إيبلا تمثل أقدم لهجة عربية سومرية وهي لهجة عمورية

٥- وهي تعتبر أقدم تعديل طرأ على الكتابة السومرية

٦- أضخم كنز أثري تاريخي عثر عليه في مكتبة واحدة حتى الآن.

معلومات تاريخية :

تبين أن مدينة " إيبلا " استمرت قائمة بالرغم من الأحداث القاسية حتى عام ٢٢٥٠ق.م وذلك منذ عام ٢٤٠٠ق.م كمايلي:

من ٢٤٠٠-٢٢٥٠ كانت مركزاً عظيماً يحتل المركز الثالث بعد مصر والرافدين

ومن ٢٠٠٠-١٨٠٠ كانت مركزاً حضارياً هاماً في شمالي سوريا. حيث بلغت "إيبـــلا" السياسية أوجها فسيطرت على المنطقة، وكانت أوسع نفوذاً من مملكة حلب خـــلال حكـــم "شماش" حدد الأول وفي بابل أيام حمورابي

تعاقب الملوك على إيبلا

١- الملك" أغر يش- حلم" ٢٥٠٠ وهو الذي أنشأ القصر عام ٢٤٠٠

٢- الملك" آركب-دامو"ووصل نفوذه حتى إيران

٣- الملك" آرسابنوم ٢٣٤٠: في عهده أصبحت: ماري: تابعة "لإيبلا"

٤- الملك" أبيروم معاصر للملك الأكادي"سرجون"

٥- الملك" أبي سبيش" عادت في عهده إيبلا للظهور كدولة قوية.

٦- الملك "أبن زيكو" وهو معاصر لحمورابي ١٨٥٠ق.م

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

معلومات جغرافية عن مدن سورية مازالت موجودة :

لقد عثر في كتابات إيبلا على معلومات حول مدن هامة بعضها انقرض مثل ثمود وعاد وارم وبعضها مازال قائماً مثل

- دمشق واسمها القديم " ديماشكي "
- حمص واسمها القديم " ايمسا "
- حماه واسمها القديم" ايماة "
- المشرفة واسمها القديم قطنا
- رأس شمرة واسمها القديم"أوغريت كما ورد الاسم
- تل حريري واسمها القديم ماري
- كركميش وتل عطشانه واسمها القديم" ألالاخ" وقد أصبح اسمها في العهد السلوقي" أنطاكية"
- جبيل وتل البيعة واسمها القديم" توتول "وهناك مايقارب ١٢٠٠٠ اسم مدينة لم نعرف حتى الآن .

معلومات عامة وتاريخية عن إيبلا :

يقول الأستاذ "ماتيه" رئيس البعثة الإيطالية:" لقد حققت إيبلا وثائق ذات ثروة كبيرة أضيفت إلى معارفنا عن الشرق الأدنى، في الألف الثالث قبل الميلاد وقد شهدت هذه الفترة بناء الأهرامات في مصر أو ما يسمى بعصر الملوك وشهدت الحضارة السومرية والأكادية في الرافدين "

بلغت سيطرة إيبلا حداً واسعاً بحيث أصبحت مركزاً لإمبراطورية شاسعة الأطراف. فكانت حلب تابعة ويعين حاكمها ملك " إيبلا " على أن يكون من مواطني"إيبلا:. كما أن جبيل على الساحل السوري يدير شؤونها حاكم من أبناء البلاد يعينه ملك "إيبلا".

كما كانت "لأبيلا سيطرة على آشور كما يتضح ذلك من نصوص المعاهدة التي عثر عليها والتي ذكرت أن "إيبلا" حققت انتصارين على دولة"ماري" للسيطرة على الطرق التجارية والمائية وعلى " أكاد" في سبيل احتكار تجارة المعادن المستخرجة من الأناضول وتجارة الخشب ومصدره فينيقيا. كما أخضعت أكاد لدفع الجزية إلى ملوك " إيبلا ".

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأما إدارة الحكم في إيبلا فكانت بيد مجموعة ملوك والملكات كما كان ولي العهد يدير القضايا الداخلية. بينما يدير الأمير الثاني السياسة الخارجية.

وأما الملوك فيتخذون لهم زوجات عدة وقد رزق أحد الملوك ثمانية وثلاثين ولداً

العبادات :

نفس عبادات بلاد ما بين النهرين وسوريا الطبيعية مما يدل على وحدة الحضارة السورية.

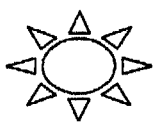

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حاضرة ماري

ننتقل الآن إلى الحاضرة المميزة " ماري" إنها واقفة على تل"حريري" قرب مدينة" أبو كمال". ولقد كشف عن أثارها العالم أندره باري" واشتهرت بقصرها العظيم وإليكم بمواصفاته.

القصر الملكي : يعتبر قصر"ماري" إحدى عجائب العالم إذا ما قيس بالزمن السحيق في القدم. تبلغ مساحة القصر ٢٥٠٠٠م^{٢} مؤلف من قطعة واحدة. فهو كما يقول علماء التنقيب مدينة في قلب مدينة.

يضم القصر ٣٠٠ غرفة وباحة واسعة كما توجد فيه قاعة للجلسات يستقبل فيها الملك المراجعين، فكانت اتصالاته بالمواطنين متواصلة ومباشرة

إن وسائل الراحة والنظافة التي وجدت في القصر تؤيد ما قاله الأستاذ " جورج دوسان" في إحدى محاضراته في مدينة" ليبج" (بلجيكا)

حيث قال : " كان السوريون منذ ٤٠٠٠ سنه يأخذون حماماتهم في المغاطس التي لم تعرفها قصورنا" قبل قصر فرساي" حتى القرن السابع عشر ميلادي"

المدارس : تم الكشف عن وجود مدرستين يقول فيها العالم" أندره بارو" مكتشف"ملري" مايلي: لا غرابة أن يخصص ملوك " ماري" في القصر الذي وجد فيه هذا العدد الضخم من اللوحات المكتوبة مكاناً لأعداد أولئك الذين سيتولون مهمة القراءة والكتابة " فمدرسة" ماري" إذن كانت على حدود زمن مدرسة " سومر" التي تعتبر أول مدرسة في العالم.

مهارة أهل " ماري" ودقتهم :

تمَّ الكشف عن أقنية داخل القصر من أجل تصريف المياه، في مختلف أقسامه. وأكبر دليل على ذلك ما جاء على لسان العالم " أندره بارو" في إحدى مراياته وملخصها كمايلي:" أن عاصفة شديدة اجتاحت مدينة "ماري" بينما كان العمال يقومون بالحفر والتنقيب. فاضطر هؤلاء العمال إلى اللجوء إلى مكان ما في قرية"أبو كمال" ولقد خشيت البعثة أن تجرف مياه الأمطار الغزيرة مواقع الحفر فتضيع معالم ما أنجزه العمال قبل العاصفة. ولكن دهشة عمال الحفر كانت عظيمة إذْ رأوا أن المياه التي هطلت بغزارة لم تغير في شيء من أثار الحفر لأن هذه المياه تسربت في أقنية من داخل غرف القصر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مصنوعة خصيصاً لهذه الغاية. إن أقنية تصريف المياه بقيت صالحة للقيام بوظيفتها لغاية الكشف عنها أي بعد أربعة آلاف عام.

سجلات ماري :

بلغ عدد سجلات "ماري" الملكية ٢٥٠٠٠ لوح مختصة في كل ناحية من نواحي القصر وموضوعة في خزائن جدارية. وتشمل هذه السجلات الوثائق الاقتصادية والادارية والسياسية، ولقد تم تكليف الأستاذ "جورج دوسان" بترجمة هذه الرقم فانجز حتى عام ١٩٦٧ أربعة عشر مجلداً. ولقد علق الأستاذ "أندره بارو" على ذلك بقوله:"كان ذلك بداية لمشروع لا يزال بعيداً عن الإنجاز وسنرتكب خطأ كبيراً إن لم نذهب حتى النهاية في الكشف عن هذا المنجم واستغلاله وبذلك سوف يتجدد تاريخ وجغرافية الشرق الأدنى بكامله؟

السجلات السياسية :

تبين في السجلات السياسية أنه كان لمملكة "ماري" سفراء لدى كل دول المنطقة ومنهم سفير "بابل" و"كركميش" و"حلب" وسفير لدى"حمورابي" وغيرهم كثيرون وقد عرفت أسماؤهم من السجلات الملكية. وفيما يتعلق بقيمة هذه السجلات ودقتها علق على ذلك العالم "ثورو دانجان" على أحدها بقوله" إن هذه الرسالة تُعد من أدق الرسائل الدبلوماسية في الألف الثاني ق.م لو غيرنا فيها الأسماء فقط لأمكننا القول أنها رسالة مبعوثة من قبل إحدى سفاراتنا في الخارج في القرن العشرين".

وتدل هذه السجلات على أن مسؤولية الملك كبيرة فكان يتدخل في كل ما يحدث في مملكته. وعلى سبيل المثال كان الملك "زمري ليم" يهتم في تفاصيل كل أمر. وكانت المحكمة الملكية تعقد في القصر الملكي والضريبة التي يجمعها الجباة تسلَّم بحضور الملك. وكان يتلقى الملك طلبات بدون انقطاع مثل إصلاح جدار مهدم أو إرسال طبيب لعلاج حالة التهاب أذن على بعد مائة كيلو متر من ماري أو الأمر بتعزيل قناة مسدودة أو ترقيم تصدع جدار أو مكافحة موجة حر. إلى آخر ما هنالك من مهمات كشفت عنها السجلات الملكية مما يدل على اهتمام الملك شخصياً بأمور رعيته.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دور المرأة :

أما دور المرأة فكان هاماً في بلاط ماري إذْ كانت الملكة"شيبتو" بنت ملك حلب تحتل مركز الصدارة فكان الملك"زمري ليم" يعتبرها وكيلة عنه بكل ما في الكلمة من معنى. فكانت تستعمل ختمها الأسطواني وهو يحمل الكتابة التالية: "شيبتو" بنت "ياريم –ليم" زوجة "زمري–ليم" وتضعه على بعض الأبواب والرسائل والمستودعات فهي كما يقول العالم "أندره بارو" مكتشف مدينة ماري" " أنها تتمتع بسلطة الأمراء كما أنها في نفس الوقت تقوم بمركز"سيدة بيت" وتشغل بكل جدارة أمور العرش في غياب زوجها.

العبادات :

إن عبادات ماري هي نفس عبادات منطقة بلاد ما بين النهرين وسوريا الطبيعية.

لمحة خاصة : وقد تبين أن مدينة"ماري" كانت تسمى" ماركي" ومعناها باللغة الاكادية "أرض الزوابع" لأن لفظة : كي" بالاكادية أرض" ومار" اله الزوابع. ويوجد موقع بالقرب من "ماري" تحت اسم: سودا. ومن المصادفات الغريبة أنه يوجد نهر على الساحل السوري يقع في منتصف الطريق المؤدية من مدينة طرطوس إلى مدينة "بانياس" يدعى "نهر مرقيه" وذلك نسبة إلى موقع أثري قديم في قرية الخراب على الساحل الواقعة بين " نهر مرقيه" وبانياس. ويستنتج أن اسم النهر نسبة إلى موقع "مرقيه" الممكن ارجاع اسم هذا الموقع إلى ماري.

ومن غرائب الأمور أنه توجد تربة بين مرقيه وطرطوس تدعى "السودا" وهو نفس الاسم الوارد على الخريطة قرب ماري. كما توجد قرية على بعد ثلاثة كيلو مترات من السودا اسمها زمرين أي"زمريليم" ؟ من يدري؟

ومن المعلوم تاريخياً أنه كانت لمدينة ماري قوافل تجارية خط منها يعبر سوريا الداخلية وخط آخر الشاطئ السوري.

فهل يا ترى خط قوافل الشاطئ السوري كان يتمركز في سيره في محلة"مارقية" وقد نسب النهر إلى اسمها؟ وزيادة في الوصف أن موقع " الخراب " الحالي مشهور بالعواصف الهوجاء التي تحتاج من حين إلى آخر الشاطئ. فهل لذلك علاقة باسم "ماري" القديم أي" ماركي" أرض الزوابع.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إن مصلحة الآثار وحدها قد تكشف عن تاريخ هذه المواقع بالإضافة إلى ما كتبنا حتى الآن عن الحاضرات السورية الكبرى فإن كتاباتنا هذه لا تدل إلا على النزر القليل من حضارتنا التي تسربت من بين أيدينا، ونسب القسم الكبير منها إلى الغير مثل اليونان والرومان. وفي هذا الموضوع كتب الدكتور جورج حداد أستاذ التاريخ في الجامعة السورية واليوم في الولايات المتحدة الأميركية مايلي:"مرت على سوريا عصور اضطر أبناؤها أن يكتبوا بغير لغتهم حتى إن أسماءهم أصبحت يونانية ورومانية. فلم تمنعهم صعوبة اللغة الجديدة من القيام بواجبهم، بل بالعكس وضعوا فيها أمهات المؤلفات على نحو ما في العصرين اليوناني والروماني فدخلت آثارهم في تراث الأمم الأخرى واحتوتها الكتب على أساس أنها جزء من تاريخ الفكر اليوناني والروماني، ولم يبقَ منها ما يذكرنا بأنها سورية سوى أصل أصحابها وانتسابهم إلى سوريا". إننا في هذا الملف سوف نأتي على أهم التراثيين السوريين من ملوك وقواد ورواد فكر إحياءً لذكرى أمجادنا وأمجاد من سبقونا على درب الحضارة الإنسانية الكبرى.

الفن العموري :

نعتمد حتى الآن لفظة "عموري" للدلالة إتنياً على الشعب الذي سكن العراق ومنه الملك "حمورابي" أكبر مشرع عرفه التاريخ القديم. إن حقيقة أصل العموريين أو الأموريين هوانهم كنعانيون سكنوا غربي العراق في الشريط الداخلي في بلاد الشام أطلق عليهم اسم عموريين أو "أموريين" أي سكان الغرب ويعنون بذلك غربي العراق فاللفظه أذن هي مصطلح جغرافي وليس سلالي. ولقد تنبه العراقيون إلى هذا الإلتباس فبدأوا يسمونهم "الآموريين" الكنعانيين الشرقيين فاقتضى في هذا الفصل من الدارسة تصحيح ما يلزم. فهم إذاً إحدى موجات : الجزيرة العربية التي نزحت إلى سوريا الطبيعية مع الاكاديين وانتشرت فيها سواء في بلاد الشام أو بلاد ما بين النهرين في الزمن اللاحق. أما مدينتهم الشهيرة في سوريا الطبيعية فهي مدينة "ماري" التي مرت معنا في هذه الدارسة.

أما الإطار العام الذي نشأت فيه حضارة العموريين أو "الكنعانيين الشرقيين" فيتميز بالعوامل الطبيعية التي أثرت في الفن الأموري وتطوره كما يلي:

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١- إن الإقليم بفروقه الحرارية ومجاورته إلى الصحراء ونوع تربته الطينية مع نـــدرة الحجر، جعلت الفن يتجه اتجاهاً قاسياً ويتخذ من مادة الطين والرسوم الجدارية الملونـة، فمادتها الأساسية الطين، كما أن فن الكتابة اعتمد اللوحات الطينية في تسجيل كتاباتـــهم عليها على غرار كل كتابات سوريا الطبيعية.

٢- كما أن للدين تأثيره فالحياة الإنسانية بأشكالها السياسية والاجتماعيـــة والاقتصاديـــة والفكرية في ذلك العصر، كان محورها الدين من حيث تعدد الآلهة وتمجيدها وبنـــاء المعابد ومنها الزيقورات وتقديم النذوز والذبائح وإقامة الاحتفالات الرسمية من قبـــل الملوك.

٣- والفن العموري لم يكن فناً جامداً بل كان سمحاً عالمياً بالنسبة لعصره فكان بالنســبة لجواره فن أخذ وعطاء مستمرين.

٤- والفن العموري واقعي محافظ على التقاليد والدين، في تمثيـــل الأشـــخاص المـــرأة والرجل وتمثيل الآلهة بأشخاص وفي تمثيل الحياة الزراعية بأشـــجارها وأرضـــها وحيواناتها .

في صناعة الطين

بقي الفخار حتى ظهور الكتابة المصدر الوحيد لإمدادنا بالمعلومات التاريخية الحضاريـــة بكل الشرق القديم. والطين وهو المادة الأولية التي يمكـــن للإنســـان أن يحصـــل عليـــها تتناسب وصحة استعمالها كبداية للفن بالإضافة إلى الرمل والكلس الناعم والقـــش. وكـــان كل شيء في البدء يصنع باليد ثم حصل تقدم جديد وهو "الدوران" حيـــث توضـــع كتلـــة الصلصال فوق حاملة يمكن أن تدور ببطء بواسطة اليد. وأما الدولاب فلم يظهر إلا بعـــد زمن طويل. وكان لاختراعه شأن عظيم في تطور صناعة الفخار ولا يزال هذا الكشـــف العظيم في خدمة الإنسان حتى يومنا هذا.

وقد عثر العلماء في بلاد ما بين النهرين وبالتحديد في بلاد "آشور" على وصفـــه تبيـــن أنها وصفة في عملية طلاء الفخار بالخزف ولدى تجربة هذه الوصفة اتضح أنـــها بـــالفعل خزف لطلاء الفخار وكان ذلك في الألفين قبل الميلاد ومن هناك دخل الخزف في صناعـــة الفخار وتعمم.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأعطتنا مدينة "ماري" مجموعات عديدة من القطع الفخارية متنوعة الأشكال مثل الجرار والصحون والطاسات والقدور والكوؤس وما يماثلها كانت كلها بمتناول أيدي أبناء الشعب. وأما القطع الفخارية المزخرفة والمزينة فكانت مخصصة للملوك ورجال الدولة والدين.

وابن ماري هو أول من استخدم المينا لتغطيه اللون الفخاري، وهذا ما عرف فيما بعد في العصر الإسلامي بالصيني في حضارة الصين.

ولابد من الإشارة إلى أنه وجدت في حفريات "ماري" بعض القطع من الأواني البرونزية وهي قليلة جداً كتب على إحداها اسم المالك فكانت تخص ابنة " نارام سين" حفيد الملك "سرجون الاكادي" وهذا دليل على العلاقات الطيبة بين "ماري" والشعب "الاكادي".

فن التمائم :

وما دمنا بصدد حضارة الطين فعلينا أن نذكر فن صناعة التمائم الذي بلغ في مدينة "ماري" شأواً كبيراً، وكانت صناعة التمائم مقتصرة على العمل اليدوي غير أن ذلك قد انقلب إلى الاعتماد على القوالب، وذلك منذ الألف الثالث قبل الميلاد. وعلى هذا الأساس أصبحت التمائم بمتناول أيدي الشعب لكثرتها وسهولة صنعها.

وتخفيف التمائم كان يحصل عن طريق تجفيف الطين في الشمس ومن ثم كانت التمائم تشوى على النار. ومن أهم مواضيع التمائم هو الإنسان من رجل وامرأة. وتمائم للإلهة الأم والرجل العاري وكل أنواع الحيوانات والى جانب ذلك مشاهد دينية وميتولوجية كما وجد في ماري مجسم بيت صنع من الطين غير المشوي يحوي على ثماني غرف متقابلة حول باحة مربعة.

فن الهندسة المعمارية :

قال أحد المهندسين الذين عنوا بمكتشفات "ماري" مايلي: إن قصر "ماري" أصبح منذ اليوم الذي تمَّ الكشف عنه وعرف مخططه عملاً فريداً من أجل إمدادنا بالمعلومات الهندسية الإنشائيه لكل منطقة الفرات ما بين النهرين. فالقصر الملكي في ماري لم يكن بالقصر الصغير وإنما كان بمثابة قلعة دفاعية واشبه ما يكون بمدينة صغيرة لاحتواء

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السكان عند مواجهة الأخطار والمدهش في فن بناء القصر هي الهندسة الشرقية لغاية الألف الثاني قبل الميلاد. وقد كشف الحفارون عن قسم من القصر يحتوي على ٣٠٠ غرفة وممر وباحة.

ولقد كشف عن بعض الجدران فقد بلغ ارتفاعها خمسة أمتار. والجدير بالذكر اتساع الغرف والباحات لاستقبال مختلف طبقات الشعب وبلغت هندسة بناء هذا القصر أبعاداً واسعة كانت حديث الناس والملوك. ومن المؤكد أن ملك أوغاريت "نقمد" أرسل ابنه للوقوف على هندسة قصر ماري وتقليدها وكان برفقته مهندسون من حلب.

وما يقال من هندسة قصر الملك في مدينة "ماري" يشمل أيضاً الفن الإنشائي للمعابد وكلها أصبحت أمثله يقتدى بها.

فن الرسم على الجدران :

لقد أعطتنا مدينة "ماري" خلال الحفائر المتعاقبة على أرضها مدة ثلاثين سنة مجموعات من الألواح الجدارية المرسومة ومعظمها وجد في القصر الملكي. وقد دلت هذه الألواح على أنها من الناحية الفنية أرقى من الفن الذي عرفت به مدينة "اور" و"اشموناك" و"الالاخ" "وبرسيب" و"دورا اوروبس" وقد تبين لعلماء الآثار أن كل هذه المواقع اشتق فنها من الفن العموري.

وقد تبين للعلماء أن الفن العموري كان بعيداً عن التأثر بالفن المصري، وذلك لبعد الشقه بينهما، وأما بلاد ما بين النهرين فكان لها تأثيرها على الفن العموري.

فن النحت على الصدف والعاج :

خلف لنا الفن العموري أثاراً صدفية وعاجية رائعة فكانوا يأتون بالصدف من شواطئ الخليج العربي وضفاف نهري دجلة والفرات، وكانوا يتفننون في صفه وتركيبه إلى أبعد حد وصناعة الصدف هذه لم تكن وقفاً على سكان "ماري" بل كانت أيضاً من منتجات مدينة "اور" في المنطقة الواقعة في أسفل "ما بين النهرين وفي مدن أخرى.

وقد وجدت أيضاً بعض أنواع الآلات الموسيقية معمولة من العاج والصدف, وجد منها أيضاً الكثير في مدينة "لاكش" و" كيش" و" الوركاء" و ورثت ماري عن بلاد ما بين النهرين استعمال العاج وذلك منذ النصف الأول من الألف الثالث، كما دلت على ذلك لقى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مدينتي "أور" و"لاكش" واستمرت صناعة العاج في حركتها الفنية في العصر "الاشـــوري" منتقلة إلى "أوغاريت" على الساحل السوري.

فن الأختام والنحت على الحجر :

يعود استعمال الأختام إلى عهد بعيد جداً في التـــاريخ الحضـــاري الإنســـاني فـــالختم المسطح وجد منذ الألف الخامس وبدء الألف الرابع، ثم تطور شكله إلى شـــكل أســـطواني في الألف الرابع.

إن مادة الختم المسطح هي الحجر وبأشكال مختلفة : بيضوي، مضلع منتظم ومختلـــف الأضلاع والدائري. ويحفر على سطح منه رموز وصور.

والشكل الأسطواني شبيه بالأسطوانة ومن مختلف الألوان وأنواع الحجارة. وأما نحـــت التماثيل فقد وُصف بالفن التكعيبي البعيد عن الواقعي ما عدا منحوتات مدينة ماري فإنـــها كانت في الاتجاه الواقعي.

والفنانون في "ماري" كانوا يقيمون بالقرب من المعابد كمحلات صالحة للعرض وذلـــك رغبة منهم في رواج إنتاجهم. إن أشهر تمثال في ماري هو تمثال "إلهة الينبوع" الموجـــودة في متحف حلب ويمثل امرأة واقفة ترتدي ثوباً طويلاً لا يظهر منه سوى مقدمة القدميـــن. والثوب متموج يشير إلى تموجات المياه .

التراثيون الأوائل : ملوك وقواد ورواد فكر :

أولاً : ملوك : بدا ظهور الملوك في بلاد ما بين النهرين منذ الألف الرابـــع، أي بعـــد حادثة الطوفان، وكان ذلك في مدينة "كيش" أول مدينة تجمّع فيها الناجون مـــن الطوفـــان واستوطنوها ولفظة"كيش" أكادية معناها التجُمع. كما عثر المنقبون على تاريخ ملوك قبـــل الطوفان، وهذا ما أطلق عليه المؤرخون اسم "ثبت الملـــوك قبـــل الطوفـــان" أو الملـــوك الأسطوريون في بلاد "سومر" وإليكم لائحة بأسماء هؤلاء الملوك مع سنين حكمهم بارقـــام خيالية إذا ما قيست بحسابات الزمن الحالي:

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رقم	الاسم	المدينة	سنين حكمهم
١	ألو ليم	أريد	٢٨٠٠٠
٢	الالمار	أريدو	٣٦٠٠٠
٣	امنلوآنا	بيت كركار	٤٣٠٠٠
٤	كيشوتا	لارسا	٤٣٠٠٠
٥	انتمنغلانا	بيت كركار	٢٨٠٠٠
٦	دموزي	بيت كركار	٣٦٠٠٠
٧	سبيزيانا	ألاراك	٢٨٠٠٠
٨	امندورانا	سيبار	٢١٠٠٠
٩	اواوراثوم	شيروباك	
١٠	زيوسودر	بطل الطوفان	٦٧٠٠٠

فيكون هؤلاء الملوك الأسطوريون قد حكموا ٣٤٥٠٠ سغة. أما " زيوسدرا " بطل الطوفان السومري فقد دعاه البابليون "اوتنابيشتيم" كما دعته التوراة "نوح" والسومريون "زيوسودرا". وقد جاء في كتابات الكاهن البابلي "برعوشا" (بيمروسوس) أن أسم الملك الأول هو "الوروس" وأنه حكم ٣٦٠٠سنة ولم يعرف سوى ذلك عن هؤلاء الملوك وهذا يذكرنا بأرقام خيالية أخرى، وإن كانت أقل بكثير من هذه الأعمار وهي أعمار الأباء العشرة في التوراة قبل الطوفان، وربما كانت هذه الأرقام الكبيرة قد وضعت تعبيراً عن عصور يكون مجموعها تاريخ بدء الإنسان على الأرض أخذت أسماء وهميين.

وما دام هناك ثبت للملوك فان المنقبين عثروا في بلاد سومر على لائحة بأسماء المدن التي عرفت بها بلاد "سومر" وهي مدن دولة من الشمال إلى الجنوب كمايلي وعددها ١٣:

رقم	اسم المدينة		
١	سيبار	وإلهها	"اوتو"
٢	كيش	وإلهتها	"ننماخ"
٣	اكشاك		
٤	لاراكك		

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٥	نيبور	وإلهها	"انليل"
٦	ادب	وإلهتها	"ننماخ" (أيضاً)
٧	اوما	وإلهها	"شارا"
٨	لغش	وإلهها	"بنينغرسو"
٩	بادبيرا	إلهها	"لتراك"
١٠	أوروكك	وإلهتها	"انانا" السومري أو عشتار البابلية
١١	لارنا	وإلهها	"أوتو" (أيضاً)
١٢	اور	وإلهها	"نانا"
١٣	اريدو	وإلهها	"انكي"

ورئيس كهنة هذه المدن يدعى" شنجا "ويأتي بعده حاكم الدولة، أما الراعي فيختار إلـــه المدينة اسمه " اتري" أو " لوجال "(ملك)" وقد جاء في ثبت الملوك الســومري أن الملكيــة أنزلت مرة ثانية من السماء وقد بدأت هذه المرة في مدينة "كيش" أول مدينة أقيمـــت بعـد الطوفان، ويضم هذا الثبت أسماء ٢٣ ملكا حكم كلٌ واحدٍ منهم ألف سنة. وأمـــا أســماؤهم فاثنا عشر منهم بأسماء سامية وستة سومرية وأربعة أسماء بلغة مجهولة وأسم غير مقـروء ويبدو جلياً من هذه الأسماء أن الساميين كانوا مسيطرين في منطقة " كيـــش" كمـــا يبـــدو الاندماج السلمي بين السومريين والساميين والفئة الثالثة.

ومن التاريخ الواضح أن سلالة " كيش" تبدأ جلية بعد ٢٨٠٠ ق.م.

وقد برز منها " إيتانا " الراعي الملك الثالث عشر من ملوك ما بعد الطوفان الذي يعنينـا كثيراً اسمه في مطلع عهد البطولات أو التراثيين.

قلنا سابقاً أن الملكية أنزلت ثانية من السماء، وذلك بعد الطوفان فما يعني أنزلت ثانيـــة من السماء؟ أن نزول الملكية من السماء يعنـــي أن الصولجانـــات أنزلـــت مـــن الســـماء، ووزعت على رؤوس الملوك المستحقين والآلهة عشتار بالتعاون مع زعيم الآلهـــة انليـــل هي التي أنزلت الصولجانات ووزعتها على رؤوس الملوك فهي بمثابة عقد بيـــن الآلهـــة والملوك ليكون حكمهم مبنياً على الحق والعدل والسلام واحترام مصالح الفقراء وحمايتـــها من الأغنياء وفي مقدمتها حماية الأرامل والأيتام. وإذا اختل سلوك الملك عن هذه القـــاعدة فإن الشعب يأخذ المبادرة بخلع الملك وتعيين من هو أصلح منه وهذا مـــا حـــدث مرتيـــن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأولى في حاكم الملك الكنعاني الملقب بالكبير المتمركز في جنوبي سوريا إذّ قام الشعب ضده لفساد سلوكه ورماه بالحجارة حتى الموت، وفي المرة الثانية في تنصيب الملك "اوروكاجينا" ما بين النهرين الذي يعتبر أول مصلح في التاريخ وسيأتي ذكره في لائحة التراثيين من الملوك.

التراثيون الأوائل من الملوك :

الملك " ايتانا " ٢٨٠٠ ق.م

تبين من التنقيبات أن الملك " إيتانا " ملك "كيش" حكم نحو ٢٨٠٠ ق.م . وفي عهده نجحت مدينة "كيش" ونجاحها أدى إلى توحيد كل مدن سومر المتنافسة إلى حد ما. وتقول الأساطير المكتشفة أن الملك "أيتانا" اهتم بفكرة خلود الإنسان الذي لابدَّ وان يموت فكيف يمكن إذن أن يخلد. أمام هذه التساؤلات الفلسفية صرَّح " إيتانا " بأن الإنسان يخلد بولده. ولما كان هذا الملك محروماً طبيعياً من النسل توسل إلى الآلهة كي تمنحه ولداً.

فنرى الملك يدخل في قصة أسطورية أشبه بالملحمة أدت إلى تخطيه الصعاب بعد أن عرف بأن نبتة الإنجاب هي لدى الآلهة "عشتار"ربة الخصب وركوبه فوق ظهر النسر مرتفعاً إلى أعلى السماوات. ولكن "إيتانا" بعد أن وصل إلى باب الآلهة "عشتار" خارت قواه وطلب من النسر العودة إلى الأرض. وبالفعل عاد الملك "إيتانا" إلى الأرض وبعد فترة من الزمن أتاه ولد إذ إن "عشتار" لبت له هذه الأمنية بناء على إيمانه كما جاء في الأسطورة. وعندئذٍ اعتبر "إيتانا" أنه أصبح خالداً بولده. وراحت مثلاً بين الناس.

الملك " أوروكاجينا " (٢٥٠٠) ق.م

في سنة ٢٥٠٠ ق.م نشأت نزاعات كثيرة في بلاد سومر وخاصة في مدينة "لغش" التي حكمها الكهنة عشرين عاماً. وكان هذا الحكم من أسوأ ما مرَّ على مدينة لغش من حيث حرية المواطنين والضرائب التي أرهقت كاهل المواطنين. وكانت سلالة "أور-نانشة" هي الحاكمة في "لغش" إلى أن اختار الشعب حاكماً جديداً عليهم يدعى "أوروكاجينا" من صفوف الشعب السومري وأما أسباب هذا الانقلاب الديمقراطي الذي أعاد القانون والنظام في دولة المدينة و"مكنَّ حرية مواطنيها". وكل هذا ترويه وثيقة ألفها ودونها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

"المواطنون بالسجلات" من موظفي " أوروكاجينا " تخليداً لذكراه. نوجز فيما يلي مضمون هذه الوثيقة التي تبين ماكانت عليه أحوال مدينة "لغش" ومبررات انقلاب "أوروكاجينا".

كانت دولة " لغش" في الألف الثالث ق.م، تتألف من مجموعة صغيرة من مدن مزدهرة تنجمع كل منها حول المعبد. ومن الوجهة الاسمية كانت مدينة "لغش" مثل دول المدن السومرية الأخرى، تحت سيادة ملك بلاد "سومر" كلها.

ولكن الواقع كان حاكمها الزمني الفعلي هو الـ "ايشاكو" الذي كان يحكم المدينة ممثلاً ونائباً عن الإله الحامي الذي خضعت له المدينة، من بعد الخليفة، أما كيف حصل مثل هؤلاء الحكام أي الـ " الايشاكو" على السلطة فامر غير معروف على وجه التأكيد. ومهما كان الأمر فإن وظيفة الـ "الإيشاكو" صارت وراثية بمرور الزمن. وقد تعاون الحكام مع رجال المعبد على مد سلطتهم وإنماء ثرواتهم على حساب " المعبد ".

كان القسم الأكبر من سكان "لغش" من الفلاحين وأصحاب الماشية والصيادين والتجار والصناع، وأما النظام الاقتصادي فكان قسم منه اشتراكياً تحت سيطرة الدولة وقسم منه من النوع الحر الرأسمالي إلى حد ما. وكان المعبد يملك قسماً كبيراً من الأراضي كان يؤجرها إلى الناس مقابل حصة معينة من الغلة.

والواقع أنه حتى الفقراء كانوا يملكون المزارع والبساتين والبيوت والماشية ويمكن القول بوجه عام أن الغنى والفقر والازدهار كانت نتيجة الجهود الفردية. وكان تعاطي التجارة الفردية يقوم بكل حرية بين المواطنين في المدينة.

كما أن سكان "لغش" فادوا جداً في السوق الحرة من الدول المجاورة سواء في البر أو البحر. وكان المواطنون في "لغش" مقدّرين لحقوقهم المدنية ويعتزون بتعاملهم الحر. غير أن الأمور قلبت الموازين وأصبح المنفذون يستغلون جهد الشعب ابشع استغلال وقد شجعهم على ذلك امتداد سلطتهم على بلاد "سومر" مما جعلهم يزدادون طمعاً وتحكماً في رقاب الشعب.

هكذا كانت "لغش" بوجه عام غيران الأحوال تبدلت وظلم الحكام استشرى إلى أبعد الحدود وقد تحكّم المتنفذون في رقاب االشعب من كثرة الضرائب، وإليكم نص الوثيقة التي تمَّ العثور عليها في وصف حالة الضرائب كمايلي: "وضع ناظر السفن يده على السفن وقبض ناظر الماشية على الماشية صغيرها وكبيرها. واستحوذ ناظر صيد السمك على

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مصائد الأسماك ومواضع صيدها. وكان المواطن يأتي بغنمه إلى القصر لجـــز الصـــوف وكان عليه أن يدفع ضريبة مقدارها ٥ شيقلات أي نصف كغ من الفضة.

وإذا طلق رجل امرأته كان أول "ايشاكو" يأخذ ٥ شيقلات ويقبض وزيره "شيقلا واحـداً" وإذا هيأ صاحب العطر نوعاً من الدهان حصل "ايشكو" على ٥ شيقلات والوزيـــر علـــى "شيقل" واحد. واخذ ناظر القصر شيقلاً آخر. وأما عن المعبد وأملاكه فقد استحوذ عليـــها ال "ايشاكو" على أنها ملك له. وقد استعملت نيران الآلهة فـــي حـــرث أرض ال"ايشـــاكو" وفضلا عن ذلك فان موظفي المعبد البارزين ولا سيما طبقة ال"سنجا" اغتصبت حمـــيرهم ونيرانهم والكثير من غلاتهم.

وحتى الموت لم يُخلِّص الناس من الضرائب والجبايات، فحين كان يؤتى بالميت إلـــى المقبرة للدفن يتجمع عدد من الموظفين بقصد الاستحواذ من أهل الميت على مقـــادير مـــن الشعير والخبز والجعة. وغير ذلك.

فجباة الضرائب كانوا منتشرين في كل مكان الخ...

في هذه الفترة العصيبة جاء إلى الحكم حاكم صالح يخاف الآلهة هو "اروكاجينا". الـــذي أعاد العدل وارجع "حرية المواطنين" الذين قاسوا المظالم الكثيرة. فازال نـــاظر الملاحيـــن وناظر الماشية وابطل وظيفة ناظر صيد السمك إلى ما هنالك مـــن ضرائـــب كـــان يئـــن الشعب من وطأتها، وأهم ما قام به في حركته الاصلاحية هو إعـــلان "حريـــة" المواطـــن وذلك لأول مرة في تاريخ البشرية تعلن فيه "حرية المواطن" واســـمها باللغـــة الســـومرية "امارجي" أساس الديمقراطية في التاريخ.

وقد اعتبر العلماء والمؤرخون انقلاب "اورو كاجينا" أول انقلاب " إصلاح اجتماعي" في التاريخ.

الملك "جلجامش" ملك "أرك" (٢٧٠٠) ق.م :

ظهر الملك "جلجامش" في مدينة " ارك" تحت صفة ملك "ارك" وسيد "كلاب" وذلك بعـد آخر ملك من ملوك "كيش" المدعو "آجا" (تلفظ الجيم كاف فارسية) وفي عهد الملك "آجـــا" ملك "كيش" نشب نزاع شديد بين مدينتي "كيش" و"أرك" على حدود المملكتين فارسل الملـك "آجا" إلى ملك "أرك" "جلجامش" إنذاراً يطلب فيه أن يعترفوا بسيادته على بـــلاد "ســـومر"

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فأغاظ الأمر "جلجامش" ورأى أن لا مناص من الحرب مع "كيش" فدعا مجلس الشيوخ إلى الانعقاد والنظر في أمر الحرب فقرر مجلس الشيوخ اللجوء إلى السلم والمصالحة دون الحرب فأغاظ ذلك "جلجامش" فاضطر لإحالة القضية إلى مجلس "الرجال المحاربين" وما كان من هذا المجلس إلا أن قرر عدم الخضوع إلى إنذار "آجا" مفضلين الحرب على الخضوع. كل هذه الأحداث مدونة في قصيدة سومرية من نوع شعر الملاحم. وتتابع القصيدة القصة بتولها أن انذار "آجا" اقترن بحصار مدينة "أرك" مما اضطر "جلجامش" إلى مصالحة الملك " آجا " لشعوره بأن المعركة بينه وبين "آجا" خاسرة.

والذي يهمنا في هذه القصيدة ذكر وجود برلمان في مدينة " أرك" مجلس شيوخ " و" مجلس مواطنين " وهو نظام ديمقراطي يتبناه الغرب و منهم الولايات المتحدة الامريكية في وقتنا الحاضر .فالروح الديمقراطية كانت سائدة في سوريا منذ الألف الثالث ق.م ولا يحق للغرب أن يعتبر نفسه مبدعا لهذا المبدأ الديمقراطي الذي عم جميع دول العالم .

هذا ما تميز به الملك "جلجامش" وأما الرائعة التي انتصر بها فكر "جلجامش" فهي المدونة في ملحمته المعروفة تحت "ملحمة " "جلجامش" وقد انتشر هذا السفر في جميع أرجاء الشرق الاوسط، كما أنه انتقل إلى الغرب فتهافت العلماء على دراسته ولا يزال حتى اليوم رغم مرور الزمن السحيق في القدم. مصدر ايحاء ودراسات حول ما جاء في ملحمة "جلجامش" التي تعتبر من أروع الملاحم في العالم , لم تصل الى مستواها ملحمة "هوميروس" بالرغم من اللقب الذي منحه إياه العلماء فقالوا عنه "ابو الملاحم في العالم "متناسين جلجامش وملحمته التي تبز هوميروس قدرة في وصف مطاوي الحياة وفلسفتها. أما لقب ابو الملاحم فيجب أن يمنح إلى "جلجامش" وليس إلى "هوميروس" علما بأن "جلجامش" يسبق "هوميروس" بألف وخمسين سنة.

فالغير يسرق تراثنا ويتبناه عنوة ونحن صامتون وأجمل ما في ملحمة جلجامش هي العبرة التالية : بعد موت صديق "جلجامش " انكيدو اعتراه الوجل من فكرة الموت ومصير الإنسان في عالم الظلام فتمنى ان يبقى خالدا، ولذلك ذهب لعند "اوتنابتشتبم" رجل الطوفان البابلي الذي منحته الآلهة الخلود وطلب منه أن يطلعه على سر الخلود . وفي نهاية الأمر أذعن رجل الطوفان و قال إلى "جلجامش" أن نبتة الخلود موجودة في قاع المحيط فرغب جلجامش أن يذهب و يحصل على هذه النبتة . و ما كان من " اوتنابيشتبم "